كتاب التوحيد

تأليف

إسماعيل مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين؛ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين؛ إمام الموحدين؛ وقدوة المتقين؛ السراج المنير والنور المبين؛ وصلاة وسلام على آله وصحبه الطاهرين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين؛ ثم أما بعد:

إذا كان الدعاء مخ العبادة فإن التوحيد هو روح العبادة؛ وبدون التوحيد فالعبادة جثة هامدة لا فائدة منها ترتجى.. فالتوحيد هو الرسالة العامة لدين الإسلام والدعوة الأولى لنبي الإسلام؛ وذلك حينما دعى رسول الله الناس إلى ترك ما يعبدون من دون الله من آلهة زائفة لم ينزل الله بها من سلطان وعبادة الله الإله الحق والوحيد المستحق للعبادة.. بل التوحيد هو مغزي وفحوي وبيت قصيد كل الأديان وكل الرسل والأنبياء من قبل النبي الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل في ذلك: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إليه أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} **المزمل25.**

ولكن للتوحيد مستلزمات وشروط وأركان بها يستقيم التوحيد وبدونها يسقط ولا يكون.. هم للتوحيد دعائم ودلائل وبراهين على صدق التوحيد وصحته؛ أول هذه الشروط والأركان هو الإعتقاد بصدق وإخلاص (وذاك محله القلب) والشهادة باللسان والإقرار بأنه لا إله إلا الله؛ وأن محمد رسول الله؛ وأن كل شيء في الكون هو محدث مخلوق وأن الله تعالى هو خالق كل شئ..

وكذلك الإعتقاد بصحة كل ما جاء به من عند الله تعالى في قرآنه الكريم وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم الصحيحة الثابتة من خبر الدنيا والآخرة.

وعلم التوحيد وغيره من أمور العقيدة هو فرع من فروع علم أصول الدين؛ وأصول الدين هو من أشرف علوم الدين؛ **يقول ابن أبي العز شارح العقيدة الطحاوية:** لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع (فقه العبادات والمعاملات) ولهذا سمي الإمام أبو حنيفة -رحمة الله عليه- ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: الفقه الأكبر.. والله تعالى أرسل رسوله بالهدي ودين الحق، فلا هدي إلا فيما جاء به.

ولا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًا مجملًا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ الذكر، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم.

والناس كلما بعد الزمن عن وقت الرسالة وتكاثرت الحوادث ظهرت البدع وكثر التحريف بحجة التأويل ليقبله عامة الناس؛ ولهذا فإن المؤمنين في حاجة إلى إيضاح الأدلة ودفع الشبه الواردة عليهم؛ وهذا ما

سنفعله بإذن الله تعالى في هذا الكتاب؛ فقد عد الإمام الفذ أبو محمد على بن حزم الظاهري المذهب والفكر والأندلسي الجنسية في كتابه الكبير المحلى نحو أكثر من مائة مسألة هي أركان وشروط ومستلزمات هذا التوحيد، ونحن في هذا الكتاب نذكر ما ذكره الإمام وعلى كل مسألة نعلق عليها بما فتح الله علينا من فهم وعلم؛ والله هو نعم المولى ونعم المصير.

المسألة الأولى:

الشهادتان

قال الإمام أبو محمد علي بن حزم رضي الله عنه: أول ما يلزم كل أحد ولا يصح الإسلام إلا به أن يعلم المرء بقلبه علم يقين وإخلاص لا يكون لشيء من الشك فيه أثر وينطق بلسانه ولابد بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

برهان ذلك: عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله. قال الله تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين} **آل عمران85**. وهو قول جميع الصحابة وجميع أهل الإسلام.

وأما وجوب عقد ذلك بالقلب فلقول الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} **البينة5.** والإخلاص فعل النفس. وأما وجوب النطق باللسان فإن الشهادة بذلك المخرجة للدم والمال من التحليل إلى التحريم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تكون إلا باللسان ضرورة.

***

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدَا رسول الله؛ هي باب الدخول إلى حظيرة الإسلام فمن قالها صادقًا مخلصًا من قلبه فهو مسلم؛ والقول شرط أو ركن أساسي لا يعتد بالشهادة إلا به؛ فالنطق بشهادة أن لا إله إلا الله محمدًا رسول الله ضرورة وركن من أركان التوحيد الذي هو أساس العبادة.

إلا أن الجهمية أتباع جهم بن صفوان يرون أن الإيمان بالله هو محض المعرفة؛ وإن لم يصحبها أي عمل أو حتى اعتقاد أو حتى النطق بهذه الشهادة، واستدلوا على ذلك بأن الله تعلى بيّن لأهل الكتاب من المعرفة بقوله :{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُون} **البقرة146**. **قال جهم:** فلو كان كل عارف كافر غير مؤمن لما لحق الذم بالفريق الكاتم منهم بل يلحق الكل، وهذا يدل على أن العارف على قسمين: **كافر:** وهو الكاتم الجاحد اللسان، وهو الذي قال تعالى في حقه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّا}النمل14. **ومؤمن:** وهو العارف الساكت. **وكان جهم يقول:** أن ذوي الإيمان لا يتفاضلون فيه؛ إذ الإيمان معرفة، والمعارف لا تتفاضل، وقد أعلن جهم هذا المذهب مع سائر أقواله في الجبر بسمرقند وترمذ.

ونرد على هذا المذهب ظاهر البطلان: بأن الله تعالى طالب عباده المؤمنين به أن يقروا بإيمانهم بالقول إن كانوا بالحق مؤمنين فقال تعالى: {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّه} **البقرة 136**.. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت

أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله. وقال صلى الله عليه وسلم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. وهذه النصوص وغيرها تفيد أن الإقرار له دخل في الإيمان، فالقول بأن الإقرار ليس له علاقة بالإيمان لا شرطاً ولا شطراً يخالف هذه النصوص.

كما روي أن الإمام أبو حنيفة النعمان ناظر زعيم الجهمية جهم بن صفوان و أبطل مذهبه هذا تمام الإبطال وإليك نص المناظرة:

روي أن جهم قصد أبا حنيفة للكلام فلما لقيه؛ **قال:** يا أبا حنيفة أتيتك لأكلمك في أشياء هيئتها لك.

قال أبو حنيفة: الكلام معك عار، والخوض فيما أنت فيه نار تتلظى.

قال: أتحكم علي بالغيب.

قال: اشتهر عنك ذلك، وظهر عند العامة والخاصة، فجاز لي أن أحقق ذلك عليك.

فقال: يا أبا حنيفة لا أسألك عن شيء إلا الإيمان.

قال: أولم تعرف الإيمان إلى الساعة حتى تسألني عنه؟!

قال: بلي ولكن شككت في نوع منه.

قال أبو حنيفة: الشك في الإيمان كفر.

فقال: لا يحل لك إلا أن تبين لي من أي وجه يلحقني الكفر.

قال: سل.

فقال: أخبرني عمن عرف الله بقلبه، وعرف أنه واحد لا شريك له ولا ند، وعرف بصفاته، وأنه ليس كمثله شيء، ثم مات قبل أن يتكلم بلسانه، أو مؤمناً أم كافراً.

قال: مات كافراً من أهل النار، حتى يتكلم بلسانه ما عرفه بقلبه.

قال: وكيف لا يكون مؤمناً، وقد عرف الله بصفاته؟!

قال أبو حنيفة: إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجة تكلمت به معك، وإن كنت تؤمن به ولا تجعله حجة كلمتك بما تكلم به مع من خالف ملة الإسلام.

قال: أومن بالقرآن وأجعله حجة.

فقال أبو حنيفة: قد جعل الله تبارك وتعالى الإيمان في كتابه بجارحتين بالقلب واللسان، فقال تبارك وتعالى:{وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا} **المائدة83**؛ إلى قوله: { فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ} **المائدة85**. فجعلهم مؤمنين وأثابهم بما قالوا وصدقوا. وقال تعالى:{قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إلينا} **البقرة136**. وقال صلى الله عليه وسلم: قولوا لا إله إلا الله

تفلحوا، فلم يجعل الفلاح بالمعرفة دون القول. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه كذا... الحديث، ولم يقل يخرج من النار من عرف الله، وكان في قلبه كذا... ولو كان القول لا يحتاج إليه، ويكتفي بالمعرفة لكان من رد الله بلسانه وأنكره بلسانه إذا عرفه مؤمناً، ولكان إبليس مؤمناً لأنه عارف بربه: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي}**الحجر39**. وأنه يعرف أنه خالقه ومميته، وباعثه ومغويه: {قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون} **الأعراف14**؛ وقال:{خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِين} **الأعراف12**. ولكان الكفار مؤمنين بمعرفتهم ربهم، إذا أنكروا بلسانهم قال تعالى وقوله صدق وحجة:{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّا}**النمل14**. فلم يجعلهم مع استيقانهم بأن الله واحد مؤمنين مع جحدهم بلسانهم وقال تعالى:{يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُم} **الأنعام20**. فلم تنفعهم المعرفة مع كتمانهم أمره وجحودهم.

فقال بن صفوان: قد أوقعت في خلدي شيئاً، فسأرجع إليك.

المسألة الثانية:

الله خالق كل شيء

قال ابن حزم: وتفسير هذه الجملة هو أن الله تعالى إله كل شيء دونه وخالق كل شئ دونه.

برهان ذلك: أن العالم بكل ما فيه هو ذو زمان لم ينفك عنه قط ؛ولا يتوهم ولا يمكن أن يخلو العالم عن زمان، وإذ الزمان مدة كما ذكرنا فهو عدد معدود ويزيد بمروره ودوامه، والزيادة لا تكون البتة إلا في ذي مبدأ ونهاية من أوله إلى ما زاد فيه، والعدد أيضاً ذو مبدأ ولابد. والزمان مركب بلا شك من أجزائه وكل جزء من أجزاء الزمان فهو بيقين ذو نهاية من أوله ومنهاه والكل ليس هو شيئًا غير أجزائه، وأجزاؤه كلها ذات مبدأ فهو كله ذو مبدأ ضرورة، فلما كان الزمان لابد له من مبدأ ضرورة، وكان العالم كله لا ينفك، عن زمان والزمان ذو مبدأ، فما لم يتقدم ذا المبدأ فهو ذا مبدأ ولا بد، فالعالم كله جوهره وعرضه ذو مبدأ وإذا هو ذو مبدأ فهو محدث والمحدث يقتضي محدثا ضرورة وإذ لا يتوهم أصلًا ولا يمكن محدث إلا وله محدث، فالعالم كله مخلوق وله خالق لم يزل وهو ملك كل ما خلق فهو إله كل ما خلق ومخترعه لا إله إلا هو.

***

الله تعالى خالق كل شيء ودليله من النص قوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} **الزمر62**. وأزلية العالم معناها أن العالم قديم لم يخلق ولكن الحق الذي لا مراء فيه أن الله تعالى فقط هو القديم الأزلي الذي لم يسبقه أحد ولا شيء، فالله سبحانه وتعالى كان ولم يكن معه شيء أو قبله شيء أو غيره شيء. فهو سبحانه الأول الذي لم يسبقه شيء أي شيء، فوجود مخلوق أزلي سابق -والأزل معناه عدم الأولية فليس الأزل شيئًا محدودًا- ووجود مخلوق مصاحب لوجود الله سبحانه وتعالى هو أمر مستحيل لا يعقل ولا يجوز ولا يمكن بأي حال من الأحوال. فطالما آمنا أن الله سبحانه تعالى هو خالق كل شيء وأنه هو رب كل شيء ومليكه، فهذا يدل على أن الكون كله والوجود بأسره ليس إلا الله ومخلوقاته، والله تعالى إله، والإله بالتأكيد مغاير لبقية مخلوقاته. فلو كانت كل مخلوقاته مخلوقة وجب أن يكون هو الخالق. والعقل والحس يتفقان على أن وجود الخالق لابد وأن يسبق وجود المخلوق، تمامً كما يسبق وجود الفاعل فعله ويسبق فعله مفعوله. فدل هذا على سبق الإله الخالق للعبد المخلوق، وبالتالي فلا أزلي إلا الله، وكل خلقه مصنوع محدث، وهو سبحانه محدثه وصانعه وباريه. وفي هذا أدلة كثيرة لا تحصى من النقل والمنطق والعلم الحديث المتطور وبكل وسيلة إدراك وتمييز لدي أي مخلوق صاحب عقل. فالله تعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء بنص الله تعالى الذي قال: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ} **الحديد3**. وقال رسوله الله صلى الله

عليه وسلم: اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء...الحديث. كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان الله ولم يكن شيء قبله (وفي لفظ معه) وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض (وفي لفظ ثم خلق السماوات والأرض).

فثبت بالنص أن الله تعالى هو فقط الأزلي وباقي خلقه محدث.. والعلم الحديث يؤكد تأكيداً لا شك فيه على إحداث العالم وكونه بعد أن لم يكن، **قال زغلول النجار في كتابه النبات**: تؤكد الملاحظات العلمية في الجزء المدرك من الكون أن الحرارة تنتقل فيه باستمرار من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ولو كان الكون أزلياً كما يدعي المبطلون لتساوت حرارة جميع الأجسام فيه وانتهي وجوده منذ زمن بعيد، واستمرار الكون في التواجد مع استمرار الانتقال الحراري ينفي أزليته، كما ينفي أبديته، ويؤكد أنه مخلوق مستحدث، له في الأصل بداية –يقدرها العلماء اليوم بحوالي أربعة عشر بليوناً من السنين- ولابد وأن سوف تكون له في يوم من الأيام نهاية لا يعملها إلا الله الخالق- سبحانه وتعالى- والسنن الحاكمة للكون اليوم تشير إلى حتمية وقوعها، ولا تحدد موعدها، ومن ذلك أن الشمس تفقد من كتلتها في كل ثانية على هيئة طاقة ما يعادل4.6 مليون طن ،وكما تفقد الشمس من كتلتها تفقد بقية النجوم، فهذا الكون الذي تتواجد فيه حتماً إلى زوال في لحظة يحددها الخالق جلت قدرته.. وقد حكي عن الإمام أبي حنيفة النعمان أن قومًا من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقريرة توحيد الربوبية فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة؛ تذهب فتمتليء من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود فترسي بنفسها، وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟ فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدًا. فقال الإمام: إذا كان هذا محالًا في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله!! وتحكى هذه الحكاية عن غير أبي حنيفة أيضًا.

المسألة الثالثة:

الله واحد

قال الإمام: هو الله لا إله إلا هو، وأنه تعالى واحد لم يزل ولا يزال.

برهان ذلك: أنه لما صح ضرورة أن العالم كله مخلوق وأن له خالقًا وجب أن لو كان الخالق أكثر من واحد أن يكون قد حصرهما العدد، وكل معدود فذو نهاية كما ذكرنا، وكل ذي نهاية فمحدث. وأيضًا فكل اثنين فهما غيران، وكل غيرين ففيهما أو في أحدهما معني ما صار به غير الآخر، فعلى هذا كان يكون أحدهما ولا بد مركبًا من ذاته ومما غاير به الآخر، وإذا كان مركبًا فهو مخلوق مُدَبَّرٌ فبطل كل ذلك وعاد الأمر إلى وجوب أنه واحد ولابد وأنه بخلاف خلقه من جميع الوجوه، والخلق كثير محدث فصح أنه تعالى بخلاف ذلك وأنه واحد لم يزل، إذ لو لم يكن كذلك لكان من جملة العالم تعالى الله عن ذلك قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء} **الشورى11**. وَقَالَ تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} **الإخلاص 4**.

***

ولو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته: فإما أن يحصل مرادهما أو يحصل مراد أحدهما دون الآخر أو لا يحصل مراد أحدهما معًا: أما الفرض الأول فهو ممتنع مستحيل إذ معناه أن يجمع بين الضدين كأن يكون الجسم متحرك وثابت في وقت واحد أو أن يكون الجسم ميت وحي في وقت واحد وهذا كما قلنا مستحيل ممتنع. أو أن لا يحصل مراد أحدهما وهذا مستحيل ممتنع إذ معناه أن يخلو الجسم من الحركة والسكون في وقت واحد أو أن يخلو الجسم من الحياة والموت في وقت واحد وهذا معناه كذلك عجزهما والعاجز بالطبع لا يكون إلهًا. أما إذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هو الإله القادر والآخر عاجزًا لا يصلح للألوهية.

وقد قال الله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}**المؤمنون91. قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية عن هذه الآية:** تأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقًا فاعلًا يوصل إلى عباده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضي تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والألوهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكه، إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه، فلابد من أحد ثلاثة أمور: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه. وإما أن يعلو بعضهم على بعض. وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا

يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه. وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره من أدل دليل على أن مدبره إله واحد، وملك واحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه.

المسألة الر ابعة:

و أنه خلق كل شئ لغير علة أوجبت عليه أن يخلُق

برهان ذلك: أنه لو فعل شيئًا مما فعل لعلة كانت تلك العلة إما لم تزل معه وأما مخلوقة محدثة ولا سبيل إلى قسم ثالث، فلو كانت لم تزل معه لوجب من ذلك شيئات ممتنعان: أحدهما أن معه تعالى غيره لم يزل، فكان يبطل التوحيد الذي قد أبنا برهانه آنفًا. والثاني أنه كان يجب إذ كانت علة الخلق لم تزل أن يكون الخلق لم يزل، لإن العلة لا تفارق المعلول، ولو فارقته لم تكن علة له، وقد أوضحنا آنفًا برهان وجوب حدوث العالم كله. وأيضًا فلو كانت ههنا علة موجبة عليه تعالى أن يفعل ما فعل لكان مضطرًا مطبوعًا أو مدبرًا مقهورًا لتلك العلة وهذا خروج عن الإلهية، ولو كانت العلة محدثة لكانت، ولابد إما مخلوقة لعلة أخرى أو لغير علة، فإن وجب أن تكون مخلوقة لعلة أخرى وجب مثل ذلك في العلة الثانية وهكذا أبدا، وهذا يوجب وجوب محدثين لا نهاية لعددهم وهذا باطل ..

وإن قالوا: بل خلقت العلة لا لعلة. سألوا: من أين وجب أن يخلق الأشياء لعلة ويخلق العلة لا لعلة ولا سبيل إلى دليل.

***

أن الباعث لقول الإمام أبو محمد بن حزم لما قاله هو اعتقاده أن الله تعالى لم يخلق الخلق كله لا لباعث ولا لعلة ولا لهدف ولا لحكمة وإنما خلق الكون كله لمحض إرادة وصرف مشيئة لا غير، ونحن نخالف الإمام في هذا فنقول وبالله التوفيق أنه لا يوجد بين مخلوقات الله تعالى من سيسأل ما هي علة هذا الخلق؟ ولماذا خلقنا الله تعالى وأوجدنا في هذا العالم؟ إلا الجن والإنس أما بقية الخلق فهم مفطورون على العبادة لا يفعلون إلا ما أمرهم وفطرهم عليه ربهم وموجدهم سبحانه وتعالى. فكل خلق الله تعالى حاشا الثقلان متعبدون لله تعالى بغير شريعة إلهية بل متعبدون بأوامر إلهية ولهذا فإنك ستجده سبحانه وتعالى يقول في محكم آياته: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} الذاريات56. فنص تعالى أنه لم يخلق الإنس والجن إلا لسبب واحد هو عبادة الله تعالى سبحانه وتعالى والإثبات في محل النفي كما يقول أهل اللغة يفيد التأكيد، فسبحانه ينفي عن نفسه أي سبب أو عله أو حكمة في خلق الإنسان والجان إلا العبادة بنص لا يمكن

تجاوزه ولا يمكن تأويله وصرفه عن ظاهره بحال. **إلا أن أبا محمد اعترض على هذا قائلاً في الفصل في الملل والأهواء والنحل:** وقال بعض أصحابنا معني هذه الآية أنه تعالى خلقهم ليأمرهم بعبادته. ولسنا نقول بهذا لأن فيهم من لم يأمره الله تعالى قط بعبادته كالأطفال والمجانين، فصار تخصيصاً للآية بلا برهان، والذي قلناه هو الحق الذي لا شك فيه (أي أنه خلق لا لعلة أو سبب أو حكمة ظاهرة) لأنه المشاهد المتيقن العام لكل واحد منهم. وأما ما ظن المعتزلة في هذه الآية فباطل يكذبه إجماعهم معنا أن الله تعالى لم يزل يعلم أن كثيراً منهم لا يعبدونه فكيف يجوز أن يخبر خلقهم لأمر قد علم أنه لا يكون منهم.

***

ونحن نجيب الإمام على اعتراضه هذا وبالله التوفيق فنقول: أن الله تعالى قادر على كل شيء وأن ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن، وهو سبحانه خالق كل شيء فإذا ما خلق المخلوقات للعبادة المأمور بها ولم يفعلوها لم يكن قد شاء أن تكون إذ لو شاء أن تكون لكونها لكن أمرهم بها وأحب أن يفعلوها ورضي أن يفعلوها وأراد أن يفعلوها إرادة شرعية تضمنها أمره بالعبادة من هنا يتبين معني الآية فإن قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون} **الذاريات56**. يشبه قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاع} **النساء 64**. فهو لم يرسله إلا ليطاع ثم قد يطاع وقد يعصي. كذلك ما خلقهم الله تعالى إلا للعبادة ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون ومثل هذا كثير في القرآن.

وهو سبحانه لم يقل أنه فعل الأول ليفعل هو سبحانه الثاني ولا ليفعل بهم الثاني، فلم يذكر أنه خلقهم ليجعلهم هم عابدين فإن ما فعله من الأسباب لما يفعله هو من الغايات يجب أن يفعله لا محالة ويمتنع أن يفعل أمر ليفعل أمراً ثانياً ولا يفعل الأمر الثاني، ولكن ذكر أنه فعل الأول ليفعلوا هم الثاني، ليكونون هم الفاعلن له فيحصل بفعلهم سعادتهم وما يحبه ويرضاه لهم فيحصل ما يحبه هو وما يحبونه هم، فهذا الذي خلقهم له لو فعلوه لكان فيه ما يحبه وما يحبونه ولكن لما لم يفعلوه استحقوا ما يستحقه العاصي المخالف لأمره التارك فعل ما خلق لأجله من عذاب الدنيا والآخرة وهو سبحانه وتعالى قد شاء أن تكون العبادة ممن فعلها فجعلهم عابدين مسلمين بمشيئته وهداه لهم، وتحبيبه إلهم الإيمان كما قال تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إليكمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إليكمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُون} **الحجرات7**. فهؤلاء أراد الله منهم العبادة خلقاً وأمراً أمرهم به وخلقاً جعلهم فاعلن له والصنف الثاني لم يشأ هو أن يخلقهم عابدين وإن كان قد أمرهم بالعبادة.

كذلك اعتراض الإمام أن في الخلق من هو غير مأمور بالعبادة كالمجنون والطفل فخطأ، ويدخل ضمن هؤلاء أيضا النائم فهو أيضاً غير مأمور بالعبادة حال نومه، ولكن الحق والصواب أن هؤلاء كلهم مأمورين بالعبادة إلا أنه قد أصابهم طارئ فكان أمر التكليف موقوفاً مؤقتاً لزوال هذا العارض فلو بريء المجنون

واحتلم الصبي واستيقظ النائم فإن القلم يجري عليه، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رفع القلم عن ثلاث: النائم حتى يستيقظ وعن المبتلي حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر. وفي رواية: رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم.

فثبت أن رفعه كان لطارئ ولم يرفع كلياً، وحتى إن رفع كلياً في فترة الحياة الدنيا فلسوف يقع على الجميع طوعاً وكرهاً يوم القيامة فمن أبي أن يعبد الله تعالى طوعا في فترة الحياة الدنيا فلسوف يعبده كرهاً في النار وبالله التوفيق. كذلك الطفل والمجنون وكل من سقط عنه التكليف لآفة أو لنقص يبرأه الله تعالى من هذا ويدخله في عباده طوعاً أو كرهاً. وأيضاً رفع التكليف لطارئ لا يعني خروج العبد من ربق العبودية لله تعالى فثبت قولنا والحمد لله رب العالمين.

كذلك ستجد أن الفعل المشترك بين جميع مخلوقات الله تعالى هو العبادة فسبحانه وتعالى لم يخلق خدماً سبحانه وتعالى بل لم يخلق إلا عبيداً وعندما يخبرنا سبحانه أنه خلق الإنس والجن –وهما الخلق المكلف بشريعة- ذوا العقل والشهوة من أجل العبادة فغيرهما أولي بهذه العبادة فسبحانه خلق الإنس والجن لينضما إلى تلك المنظومة الكونية العابدة والعاملة، والمنظومة الكونية كلها تدين لله تعالى بالعبادة كما في قوله تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ} **الإسراء44**. فالسماوات السبع والأرض ومن فيهن يسبح بحمد ربه، والتسبيح عبادة، والسموات والأرض هما العمارة أو البناء الذي تسكن فيه كل مخلوقات الله تعالى تسبح وتعبد الله سبحانه وتعالى ومعني تسبح لله أي تنزه الله ربها وموجدها عن كل سوء ونقص وعيب وهي بهذا تشكره على نعمة الوجود والإيجاد فتقر بصلاتها وبعبادتها لله تعالى بأنه ربها وخالقها ومسويها وبارئها وإلهها. فكل المخلوقات تشارك بعضها البعض أمام ربها وموجدها الدين العظيم هذا الدين هو نعمة إيجادها، وهذا من أعظم النعم لأنها مبني كل النعم وأساسها فلو أنك لم تكن موجوداً لم تكن تفيدك حينئذ أي نعمة. حتى الكافر بالله وإن لم يكن يسبح بلسانه فقد خضعت جوارحه لفاطرها وموجدها فهي تسبح وتعبد الله رغماً عنه، وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإذا اعوججت اعوججنا.

والله سبحانه وتعالى ينص مؤكداً على أن كل من في السماوات والأرض عبداً له سبحانه وتعالى فيقول: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدا} **مريم93**. وقال: {وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُون} **النحل49**. فثبت بهذا أن جميع مخلوقات الله تعالى تشترك في علة واحدة وهدف واحد وتسير في اتجاه واحد هو عبادة الله تعالى. والله سبحانه وتعالى أراد أن يخلق من العباد

من هم على أصناف وأنواع وأشكال فيعبد في كل وقت وحين من كافة خلقه وبكافة أشكال وأصناف العبادة.

وعلة العبادة ليست بمعلولة؛ والعبادة هي العلة الأولى والتي من أجلها أوجد الله سبحانه وتعالى مخلوقاته كلها، وهذه العلة ليست بمعلولة بل هي محض مشيئة الله وصرف إرادته سبحانه وتعالى.

إذاً فقد جانب الإمام أبي محمد الصواب في مسألة علة الخلق فقد بان أن استدلاله على أن الله تعالى لم يخلق لعلة ليس صحيحاً على إطلاقه بقوله رحمه الله: ودليل ذلك أن السبب والغرض لا يخلوان من أنهما مخلوقان لله تعالى أو أنهما غير مخلوقين أصلاً أو أنهما مخلوقان لغيره فمن جعلهما غير مخلوقين أصلاً كفر لأنه يجعل في العالم شيء لم يزل، ومن قال أنهما مخلوقان لغيره كفر لأنه يجعل خالقاً غير الله تعالى، فثبت أنهما مخلوقان له تعالى وقد قام البرهان على أن كل ما دون الله تعالى فهو خلق له فإذا قد ثبت أن الغرض والسبب مخلوقان لله تعالى فلا يخلو من أن يكون خلقهما لسبب أيضاً أول لا لسبب ولا لغرض. فإن كان فعلهما لسبب آخر وغرض آخر لزم أيضاً فيهما مثل ذلك حتى ينتهي بقائله إلى إثبات معدودات ومخلوقات لا نهاية لها وهذا كفر من قائله؟

وإن كان تعالى فعلهما لا لسبب ولا لغرض حاشا ما نص تعالى عليه فقط أنه فعله لغرض أراده أو لسبب وأما ما لم ينص لك فيه فإنا نقطع على أنه تعالى فعله كيفما شاء لا لغرض ولا لسبب.

***

ونحن نجيب الإمام على هذا الاعتراض أيضاً وبالله التوفيق فنقول: أن السبب والغرض خلق من مخلوقات الله تعالى ككافة أفعال العباد خلق من خلق الله تعالى وأن الله خلق الخلق لعلة وهذه العلة هي العبادة كما سبق وبينا وقد نص الله تعالى على ذلك حينما قال –وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون- وبقول الله تعالى نقول وهذا العلة –أي العبادة- ليست بمعلولة أي لا علة لها بل هي محض مشيئة وصرف إرادته سبحانه وتعالى وبهذا لا يعترض على قولنا بالتسلسل والحمد لله رب العالمين.

ولكن إذا كان سؤال السائل ما الحكمة في خلق الله تعالى المخلوقات لعبادته فنقول له هذا ما نتفق فيه مع الإمام ابن حزم ونخالف فيه كل العلماء ولا يجوز لنا أن نخوض بالسؤال في أفعاله عز وجل فنقول لم خلق المخلوقات لعبادته؟ طالما أنه لم يخبرنا سبحانه وتعالى عن إجابة هذا السؤال فنقول: فيه حكمة خفيت علينا لا يجوز لنا السؤال عنها فسبحانه: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون}**الأنبياء23**. وهذا ما نخالف فيه الإمام الذي قال لا حكمة.

المسألة الخامسة:

النفس مخلوقة

برهان ذلك: أننا نجد الجسم في بعض أحواله لا يحس شيئًا، وأن المرء إذا فكر في شئ ما فإنه كلما تخلي عن الجسد كان أصح لفهمه وأقوي لإدراكه فعلمنا أن الحساس العالم الذاكر هو شئ غير الجسد ونجد الجسد إذا تخلي منه ذلك الشئ موجودًا بكل أعضائه ولا حس له ولا فهم إما بموت وإما بإغماء وإما بنوم فصح أن الحساس الذاكر هو غير الجسد وهو المسمي في اللغة نفسًا وروحًا وقال الله تعالى ذكره: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عليها الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} **الزمر42**. فكانت النفوس كما نص تعالى كثيرة، وكذلك وجدنا نفسًا خبيثة وأخرى طيبة، ونفسًا ذات شجاعة وأخرى ذات جبن، وأخرى عالمة وأخرى جاهلة.

فصح يقينًا أن لكل حي نفسًا غير نفس غيره، فإذا تيقن ذلك وكانت النفوس كثيرة مركبة من جوهرها وصفاتها فهي من جملة العالم، وهي ما لم ينفك قط من زمان وعدد فهي محدثة مركبة، وكل محدث مركب مخلوق، ومن جعل شيئًا مما دون الله تعالى غير مخلوق فقد خالف الله تعالى في قوله: خلق كل شيء. وخالف ما جاءت به النبوة وما أجمع عليه المسلمون وما قام به البرهان العقلي.

***

بالطبع الروح مثلها مثل كافة مخلوقات الله تعالى مخلوقة ومحدثة بعد أن لم تكن حادثة، **قال الإمام ابن تيمية في فتاويه:** روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة.. وقال الشيخ أبو سعيد الخراز أحد أكابر المشائخ الأئمة من أقران الجنيد، فيما صنفه في أن الأرواح مخلوقة، وقد احتج بأمور منها: لأنها لو لم تكن مخلوقة ما كان على النصارى لوم في عبادتهم عيسى، ولا حين قالوا: إنه ابن اللّه، وقالوا: هو اللّه. قال: ولأنه لو كان الروح غير مخلوق ما دخلت النار، ولأنها لو كانت غير مخلوقة لما حجبت عن اللّه، ولا غيبت في البدن، ولا ملكها ملك الموت، ولما كانت صورة توصف؛ ولأنها لو لم تكن مخلوقة لم تحاسب ولم تعذب، ولم تتعبد ولم تخف، ولم ترج.

وقد استفاضت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن الأرواح تقبض، وتنعم وتعذب، ويقال لها: اخرجي أيتها الروح الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي أيتها الروح الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ويقال للأولى: أبشري بَروْح ورَيْحان، ويقال للثانية: أبشري بحَمِيم وغَسَّاق وآخر من شكله أزواج، وأن أرواح المؤمنين تعرج إلى السماء، وأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها، قال حماد: فذكر من طيب ريحها

وذكر المسك؛ قال: فيقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك، وعلى جسد كنت تعمرينه، فينطلق به إلى ربه، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل، قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه، قال حماد: وذكر من نتنها وذكر لعنًا، فيقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، قال: فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال أبو هريرة رضي الله عنه: فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النتن رد على أنفه ريطة كانت عليه.

المسألة السادسة:

النفس هي الروح

برهان ذلك: أنه قد قام البرهان كما ذكرنا بأن ههنا شيئاً مدبرًا للجسد هي الحي الحساس المخاطب، ولم يقم برهان قط بأنهما شيئان، فكان من زعم بأن الروح غير النفس قد زعم بأنهما شيئان وقال ما لا برهان له بصحته وهذا باطل. قال تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فمن لا برهان له فليس صادقًا. فصح أن النفس والروح اسمان لمسمى واحد. عن أبي هريره في حديث ذكره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال: اكلأ لنا الليل. فغلبت عيناه فلم يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظًا فقال: يابلال. فقال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يا رسول الله وذكر الحديث. وقال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عليها الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} **الزمر42.**

وعن أبي قتادة الأنصاري في حيث ذكر فيه نوم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلعت الشمس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا إنا نحمد الله أنا لم نكن في شئ من أمر الدنيا يشغلنا عن صلاتنا، ولكن أرواحنا كانت بيد الله عز وجل فأرسلها أني شاء. فعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنفس وبالأرواح عن شئ واحد، ولا يثبت عنه عليه السلام في هذا الباب خلافًا لهذا أصلًا وبالله تعالى نتأيد.

***

كل مؤمن يعلم بالضرورة أن الإنسان مخلوق مركب من عنصرين أساسين متباينين، العنصر الأول: عنصر مادي أرضي وهو ذلك الظاهر من كينونة الإنسان، أي الجسد.

أما العنصر الثاني: عنصر روحاني سماوي محرك للجسد، وهو ذلك النفخة الربانية المعجزة المخفية داخل الإنسان، أي الروح. والإنسان هو ذلك الكائن المكتمل الذي هو روح وجسد معاً متداخلين، أما إذا انفصلت الروح عن الجسد فإننا نقول عن الروح روح أو نفس من قبيل المجاز اللغوي، ونقول على الجسد جسد أو

جثة على سبيل التحقيق اللغوي. فلا نقول على الروح وحدها إنسان على سبيل التحقيق، ولا نقول على الجثة أو الجسد وحده إنسان على سبيل التحقيق، بل نطلق عليهما منفصلان لفظ الإنسان مجازاً. والنفس هي ذلك الإنسان الكامل الحي الذي هو جسد وروح معاً، ولا تطلق النفس على الروح إلا مجازاً. **قال الإمام ابن تيمية في مجموع فتاويه:** كذلك النفس لما كانت حال تعلقها بالبدن يكثر عليها اتباع هواها صارلفظ النفس يعبر به عن النفس المتبعة لهواها أو عن اتباعها الهوى، بخلاف لفظ الروح فإنها لا يعبر بها عن ذلك؛ إذ كان لفظ الروح ليس هو باعتبار تدبيرها للبدن. ويقال: النفوس ثلاثة أنواع، وهي: النفس الأمارة بالسوء التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي. والنفس اللوامة وهي التي تذنب وتتوب فعنها خير وشر، لكن إذا فعلت الشر تابت وأنابت، فتسمى لوامة؛ لأنها تلوم صاحبها على الذنوب ؛ ولأنها تتلوم أي تتردد بين الخير والشر. والنفس المطمئنة وهي التي تحب الخير والحسنات وتريده، وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك، وقد صار ذلك لها خلقًا وعادة وملكة، فهذه صفات وأحوال لذات واحدة، وإلا فالنفس التي لكل إنسان هي نفس واحدة، وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه.

وقال الإمام ابن أبي العزفي شرح العقيدة الطحاوية: واتفق أهل السنة والجماعة على أنها مخلوقة؛ وممن نقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة وغيرهما.. وأما اختلاف الناس في مسمي النفس والروح: هل هما متغايران، أو مسماهما واحد؟ فالتحقيق: أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة. فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما تسمي نفسًا إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها..

وقد وقع كلام كثير من أن لابن آدم ثلاثة أنفس: مطمئنة، ولوامة، وأمارة، قالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه..

والتحقيق: أنها نفس واحدة لها صفات، فهي أمارة بالسوء فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: من سرته حسنته، وسائته سيئته فهو مؤمن.

المسألة السابعة:

العرش مخلوق

برهان ذلك: قول الله تعالى:{رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم} النمل26. وكل ما كان مربوبًا فهو مخلوق.

***

والعرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس ملكة سبأ: {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم} **النمل23**.. وقد خرج أبو داود في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام. وقال تعالى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} **الحاقة17**. وطالما أن كل ما في الكون هو مخلوق محدث خلقه الله تعالى وأحدثه بعد أن لم يكن، فالعرش مخلوق محدث مصنوع، وهذا من الأمور المعلومة بالضرورة من الدين، وعلى هذا استقر أهل الإسلام وجماعتهم من لدن رسول الله إلى يومنا هذا في ألفيتنا هذه. فالله تعالى خالق كل شيء، أو كما قال تعالى: {اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّار} **الرعد16**. وهذا لفظ عام لا تخصيص فيه بوجه من الوجوه.

المسألة الثامنة:

و أنه تعالى ليس كمثله شئ

ولا يتمثل في صورة شيء مما خلق. قد مضي الكلام في هذا، ولو تمثل الله في صورة شيء لكانت تلك الصورة مثلاً له وهو تعالى يقول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} الشورى**11**.

***

قال الإمام ابن أبي العز: اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.. فالله سبحانه وتعالى إله؛ ولا إله غيره عز وجل؛ والإله يخالف المخلوق في كل شيء إذ لا مثيل له ولا يمكن لأحد أن يمثله إذ لا أحد قد رأي الله سبحانه وتعالى حتى يصفه ويعرفنا عليه؛ إذا لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا من خلاله هو سبحانه؛ وهنا يفترق أهل السنة والجماعة عن بقية المذاهب الأخرى التي تنسب إلى الإسلام إذ هم يتوقفون في علم الصفات والأفعال على ما جاء به النص الشرعي من كتاب وسنة صحيحة فقط لا يعدونه ولا يتجاوزونه قط..

المسألة التاسعة:

النبوة حق

برهان ذلك: أن ما غاب عنا أو كان قبلنا فلا يعرف إلا بالخبر عنه. وخبر التواتر يوجب العلم الضروري ولابد، ولو دخلت في نقل التواتر داخلة أو شك لوجب أن يدخل الشك هل كان قبلنا خلق أم لا؟! إذ لم نعرف كون الخلق موجودًا قبلنا إلا بالخبر، ومن بلغ ههنا فقد فارق المعقول وبنقل التواتر المذكور صح أن قومًا من الناس أتوا أهل الزمان يذكرون أن الله تعالى خالق الخلق أوحي إليهم يأمرهم بإنذار قومهم بأوامر ألزمهم الله تعالى إياها فسألوا برهانًا على صحة ما قالوا: فأتوا بأعمال هي خلاف لطبائع ما في العالم لا يمكن البتة في العقل أن يقدر عليها مخلوق، حاشا خالقها الذي ابتدعها كما شاء، كقلب عصا حية تسعي، وشق البحر لعسكر جازوا فيه وغرق من اتبعهم؛ وكإحياء ميت قد صح موته، وكإبراء أكمه ولد أعمي، وكناقة خرجت من صخرة، وكإنسان رمي في النار فلم يحترق، وكإشباع عشرات من الناس من صاغ شعير، وكنبع الماء من بين أصابع إنسان حتى روي العسكر كله، فصح ضرورة أن الله تعالى شهد لهم بما أظهر على أيديهم فصح ما أتوا به عنه وأنه تعالى صدقهم فيما قالوه.

***

قال ابن أبي العز: ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم، علمنا يقينًا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة: **منها:** أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم.

ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، وإذا عرف الوجه الذي حصل عليه كغرق فرعون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم، عرف صدق الرسل.

ومنها: أن من عرف ما جاء به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها تبين لهم أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن فيما جاءوا به من المصلحة والرحمة والهدي والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع من ما يضرهم ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.

المسألة العاشرة:

محمد رسول الله إلى الثقلان

قال الإمام: وأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله إلى جميع الإنس والجن، كافرهم ومؤمنهم.

برهان ذلك: أنه عليه السلام أتي بهذا القرآن المنقول إلينا بأتم ما يكون من نقل التواتر، وأنه دعا من خالقه إلى أن يأتوا بمثله فعجزوا كلهم عن ذلك، وأنه شق له القمر قال الله عز وجل: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَر} **القمر1**. وحن الجذع إذ فقده حنينًا سمعه كل من حضره، وهم جموع كثيرة؛ ودعا إلهود إلى تمني الموت إن كانوا صادقين؛ وأخبرهم أنهم لا يتمنونه فعجزوا كلهم عن تمنيه جهارًا، ودعا النصاري إلى مباهلته فأبوا كلهم. وهذان البرهانان مذكوران جميعًا في نص القرآن، كما ذكر فيه تعجيزه جميع العرب عن أن يأتوا بمثله أولهم عن آخرهم ونبع لهم الماء من بين أصابعه وأطعم مئين من الناس من صاع من شعير وجدي، وأذعن ملوك اليمن والبحرين وعمان لأمره للآيات التي صحت عندهم عنه فنزلوا عن ملكهم طوعًا دون رهبة أصلًا ولا خوفًا من أن يغزوهم، ولا برغبة رغبهم بها، بل كان يتميًا فقيرًا، وهناك قوم يدعون النبوة كصاحب صنعاء وكصاحب إلىمامة كلاهما أقوي جيشًا وأوسع منه بلادًا فما التفت لهم أحد غير قومهما، وكان هو أضعفهم جندًا وأضعفهم بلدًا وأبعدهم من بلاد الملوك دارًا، فدعا الملوك والفرسان الذين قد ملئوا جزيرة العرب وهي نحو شهرين في نحو ذلك إلى إقامة الصلاة وأداء الزكاة وإسقاط الفخر والتجبر، وإلتزام التواضع والصبر للقصاص في النفي فما دونها من كل حقير أو رفيع دون أن يكون معه مال، ولا عشيرة تنصره، بل اتبعه كل من اتبعه مذعنًا لما بهرهم من آياته، ولم يأخذ قط بلد عنوة وغلبة إلا خيبر ومكة فقط. وفي القرآن العظيم: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِليكمْ جَمِيعا} **الأعراف 158**.

وقال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنس} **الأنعام130**. وقال تعالى: {قلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً} إلى قوله: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً. وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبا} **14-15 الجن**. وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ} **آل عمران85**.

***

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الجن كما أرسل إلى الانس، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: لقد قرأتها -يعني سورة الرحمن- على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودًا منكم كنت كلما أتيت على قوله: {فبأي آلاء ربكما تكذبان} قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.

قال ابن تيمية في فتاويه: ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين وقد استمعت الجن القرآن وولوا إلى قومهم منذرين لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف، وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله: {وَإِذْ صَرَفْنَا إليك نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ إلىمٍ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} **الأحقاف 29-32**.

وقال ابن حزم في أصول الأحكام: وقد أيقنا أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى كل من كان حياً في عصره في معمور الأرض من إنس أو جن وإلى من يولد بعده إلى يوم القيامة.

المسألة الحادية عشر:

نسخ الله بالإسلام كل ملة

قال أبو محمد: نسخ عز وجل بملته كل ملة وألزم أهل الأرض جنهم وإنسهم اتباع شريعته التي بعثه بها، ولا يقبل من أحد سواها، وأنه عليه السلام خاتم النبيين لا نبي بعده.

برهان ذلك: عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن النبوة والرسالة قد انقطعت. فجزع الناس فقال: قد بقيت مبشرات وهن جزء من النبوة.

***

وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم عن ثوبان: وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي.. الحديث.

وعندما قال سبحانه وتعالى عن آخر أنبيائه: وخاتم النبيين. أغلق الباب على كل من يدعي النبوة أو الرسالة؛ وليس الأمر كما قال المتنبأ شيخ الضلالة البهائي عندما قال: نعم محمد آخر الأنبياء وأنا آخر الرسل.. فكل أهل العلم يعلمون يقينا ما الفرق ما بين النبي والرسول؛ فالمشترك بينهما النبوة؛ فالنبي لغة هو من نبأ بخبر ما يكون قبل أن يكون؛ فلا رسول إلا نبي؛ ومن كان رسولا فهو نبيا؛ ولا يشترط أن يكون النبي رسول؛ فلما قال الله تعالى: خاتم النبيين؛ فهو هنا منع الأصل؛ والرسالة فرع من فروع النبوة كما بينا ولله الحمد.

المسألة الثانية عشر: عيسى بن مريم سينزل

قال الإمام ابن حزم: إلا أن عيسى بن مريم عليه السلام سينزل، وقد كان قبله عليه السلام أنبياء كثيرة ممن سمي الله تعالى ومنهم لم يسم؛ والإيمان بجميعهم فرض.

برهان ذلك: عن ابن جريج قال: أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة: قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعالى صل لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة. وذكر الله تعالى في القرآن آدم ونوحًا وإدريس وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداوود وسليمان ويونس واليسع وإلياس وزكريا ويحي وأيوب وعيسى وهودًا وصالحًا وشعيبًا ولوطًا. وقال تعالى: {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عليك مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عليك}**النساء164.**

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا. أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} **150-151 النساء.**

***

والكثير من علماء أهل السنة والجماعة على أن نبي الله عيسى حي رفع بجسده وروحه إلى السماء وأنه سينزل ليقتل الدجال وإن خالفهم البعض في هذا بأن قالوا بل إن الله تعالى توفاه وفاة الموت وأن جسده مدفون في الأرض، أو إن جسده مرفوع في السماء ولكنه ميت.

قال الإمام ابن تيمية في مجموع فتاويه: عيسى عليه السلام حي، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، وإمامًا مقسطًا، فيكسر الصلب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

وثبت في الصحيح عنه: أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يقتل الدَّجَّال. ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره.

وأما قوله تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إلى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ}، فهذا دليل على أنه لم يَعْنِ بذلك الموت؛ إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء، فعلم أن ليس في ذلك خاصية. وقوله: {بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إليه} يبين أنه رفع بدنه وروحه، كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه. ولهذا قال من قال من العلماء: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ}: أي: قابضك، أي: قابض روحك وبدنك، يقال: تَوَفَّيْتُ الحسابَ واستوفيتُه، ولفظ التَّوَفِّي لا يقتضي نفسه تَوفِّي الروح دون البدن،

ولا تَوَفِّيهما جميعًا، إلا بقرينة منفصلة. وقد يراد به توفي النوم كقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} الزمر42، وقوله: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ} **الأنعام60**. والله تعالى أعلم.

وللإمام ابن حزم رأي مخالف لرأي الإمام ابن تيمية سنراه بعض سطور قليلة.

وقد يكون اختيار الله تعالى لنبي الله عيسى بالأخص؛ دون بقية أنبياء الله تعالى لأمرين:

الأول: كون دينه من أشهر الأديان في الأرض.

والثاني: كونه لم تكفر به امته ولم تؤمن به كحال بقية الأقوام مع أنبيائهم ولكنهم ابتدعوا أمرا ثالثا بأن عبدوا النبي من دون الله تعالى؛ فرجوعه هو بالأخص ليوجه لهم رساله أو صفعة على ما افتروا على الله تعالى وعلى نبيه الكذب؛ صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلى وأعلم..

المسألة الثالثة عشرة: جميع النبيين عبيدا لله

قال ابن حزم: وأن جميع النبيين وعيسى ومحمدًا عليهم السلام عبيدًا لله تعالى مخلوقون؛ ناس كسائر الناس؛ مولودون من ذكر وأنثي إلا آدم وعيسى فإن آدم خلقه الله تعالى من تراب بيده لا من ذكر ولا من أنثي، وعيسى خلق في بطن أمه من غير ذكر. قال الله عز وجل عن الرسل عليهم السلام أنهم قالوا: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِن}**إبراهيم11**. وقال تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى} **13 الحجرات**. وقال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُون}**آل عمران59**. وقال تعالى عن جبريل عليه السلام أنه قال لمريم عليها السلام: {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّا. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ على هَيِّن} **مريم19-21**. وقال تعالى: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا} **التحريم12**.

***

قال ابن أبي العز الحنفي شارح العقيدة الطحاوية: واعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه وأن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم قال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} **الأنبياء26**. إلى غير ذلك من الآيات..

المسألة الرابعة عشر: الجنة حق ومخلوقة للمؤمنين

قال الإمام: وأن الجنة حق دار مخلوقة للمؤمنين، ولا يدخلها كافر أبدًا، قال تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} **آل عمران133**. وقال تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ علينا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِين} **الأعراف50**.

***

ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا، وما نعلم لمن قال أنهما لم يخلقا بعد حجة أصلاً أكثر من أن بعضهم قال: قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وذكر أشياء من أعمال البر من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة، وبقول الله تعالى حاكياً عن امرأة فرعون أنها قالت: {قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّة}**التحريم11**. **قالوا:** ولو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى.

قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل: وإنما قلنا أنهما مخلوقتان على الجملة كما أن الأرض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من البنيان، والبرهان على أنهما مخلوقتان بعد أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى الجنة ليلة الإسراء وأخبر عليه السلام أنه رأى سدرة المنتهى في السماء السادسة، و قال تعالى: {عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} **14-15 النجم**..

كذلك قال **رسول الله صلى الله عليه وسلم** في قصة الإسراء في آخره: بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله، ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكا ثم رفعت لي سدرة المنتهى فرأيت عندها نورا عظيما.

وقال صلى الله عليه وسلم: ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ونبقها مثل قلال هجر وورقها كآذان الفيلة تكاد الورقة تغطي هذه الأمة فغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك. **وقال عليه السلام** في حديث كسوف الشمس في آخره: قال إني رأيت الجنة أو أريت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن. قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط.

المسألة الخامسة عشر:

النار حق ولا يخلد فيها مؤمن

قال الإمام: وأن النار حق دار مخلوقة لا يخلد فيها مؤمن. قال تعالى: {لاَ يَصْلاَهَا إلاَّ الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى} **15-17 الليل.**

***

والدليل على وجود النار قوله تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين} **البقرة24**. وقوله تعالى: {وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين} **آل عمران131**. فهاهو تعالى قال أنه بالفعل قد خلق النار. وقوله صلى الله عليه وسلم: فقال إني أمامكم فلا تبادروني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإني أراكم من أمامي ومن خلفي ثم قال: والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا. قلنا: ما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار. وكذلك أخبر عليه السلام أن النار اشتكت إلى رباه فأذن لها بنفسين، وأن ذلك أشد ما نجده من الحر والبرد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا. فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير.

قال الإمام ابن أبي العز: اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة. وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث. لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة.

المسألة السادسة عشر:

يدخل النار من شاء الله من المسلمين

قال الإمام: يدخل النار من شاء الله تعالى من المسلمين الذين رجحت كبائرهم وسيئاتهم على حسناتهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويدخلون الجنة. قال عز وجل: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيما} **النساء31**. وقال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِين} **الأنبياء47**.

***

وقد أثبت الإمام ما أثبت في هذه المسألة حتى لا يظن ظان أن مجرد إسلامه كاف في تحريم بدنه على النار! بل ليؤكد على أن العمل هو الأساس وأن من يعمل وزن نملة صغيرة خيرًا، ير ثوابه في الآخرة. ومن يعمل وزن نملة صغيرة شرًا، ير عقابه في الآخرة؛ فلسنا مثل إلهود والنصاري القائلون نحن أبناء الله وأحباؤه؛ بل نحن عباد الله وأولياؤه من أحسن في الدنيا أحسن الله له في الآخرة ومن أساء في الدنيا فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المسألة السابعة عشر:

لا تفنى الجنة ولا النارولا أحد ممن فيهما أبدًا

قال الإمام: لا تفنى الجنة ولا النار ولا أحد ممن فيهما أبدًا. **برهان ذلك:** قول الله عز وجل مخبرًا عن كل واحدة من هاتين الدارين ومن فيهما: قول الله عز وجل مخبرًا عن كل واحدة من هاتين الدارين ومن فيهما: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}. و: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذ} **هود108**. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت. فيؤمر به فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُون}**مريم39**. وأشار بيده إلى أهل الدنيا. وقال عز وجل في أهل الجنة: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} **الدخان 56**. وقال في أهل النار: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عليهمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا} **فاطر36**. وبالله تعالى التوفيق.

***

أجمع أئمة أهل السنة على أن الناروالجنة باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان.

قال ابن حزم في الفصل: والبرهان على بقاء الجنة والنار بلا نهاية قول الله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذ} **هود108**. وقوله تعالى في غير موضع من القرآن {خالدين فيها أبدًا} وقوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} **الدخان56**. مع صحة الإجماع بذلك وبالله تعالى التوفيق. وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص: لو أقام أهل النار في النار ما شاء الله أن يبقوا لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيها منها.

قال ابن حزم: وهذا إنما هو في أهل الإسلام الداخلين في النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويبقى ذلك المكان خالياً، ولا يحل لأحد أن يظن في الصالحين الفاضلين خلاف القرآن وحاشا لهما من ذلك وبالله تعالى التوفيق.

وكان من أشهر العلماء الذين قالوا بفناء النار بل ودخول أهل النار بعد ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار الإمامين الجليلين أبو العباس بن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية وقد رد الإمام الصنعاني عليهما في كتاب مشهور بإسم رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار لمن أراد الرجوع إليه. ولكن هذا كان من الإمامين زلة ولكل عالم زلة وهفوة ولا ينقص ذلك من قدرهما بين أهل السنة من شيء رحمهما الله وجمعنا وإياهم في جنة الخلد. فكما قلنا الأدلة جازمة وحازمة في هذه المسألة: يقول الله تعالى: {لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها}. **فاطر36**. وقال: {أولئك يئسوا من رحمتي}. **العنكبوت23**. وقال: {ولا ينالهم الله برحمته} . **الأعراف 49** . وقال: {ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون} . **الزخرف77**. وقال: {سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص}. **إبراهيم21**. وقال: {خالدين فيها أولئك هم شر البرية} **البينة 6**. وقال: {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب}. **النساء56**. وقال: {كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها} **السجدة30**. وقال: {إنها عليهم مؤصدة} **الهمزة 8**.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف ذلك فهو مبتدع. **وقال صاحب العقيدة الطحاوية:** والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان. **وقال ابن حزم في كتابه مراتب الإجماع:** وأن النار حق وأنها دار عذاب أبدا لا تفنى ولا يفني أهلها أبدا بلا نهاية.

المسألة الثامنة عشر:

أهل الجنة يأكلون ويشربون

قال الإمام: وأن أهل الجنة يأكلون ويشربون ويطئون ويلبسون ويتلذذون، ولا يرون بؤسًا أبدًا، وكل ذلك بخلاف ما في الدنيا؛ لكن ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحور عين حق نساء مطهرات خلقهن الله عز وجل للمؤمنين. قال تعالى: {يَطُوفُ عليهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ. لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ، وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ، وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون} **17-24 الو اقعة**. وقال تعالى: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير} **الحج 23**. وقال تعالى: {عَالِهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُورا} **الإنسان21**.

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. مصداق ذلك في كتاب الله تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون} **السجدة17**. وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس. وهذا نص على أنه خلاف ما في الدنيا.

المسألة التاسعة عشر:

أهل الناريعذبون بالسلاسل والأغلال

قال الإمام: وأهل النار يعذبون بالسلاسل والأغلال والقطران وأطباق النيران، أكلهم الزقوم وشربهم ماء كالمهل والحميم؛ نعوذ بالله من ذلك. وقال تعالى: {سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ} **إبراهيم50**. وقال تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيرا} **الإنسان4**. وقال تعالى: {يرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيم} **المائدة37**. وقال تعالى: {وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقا} **الكهف29**.

المسألة العشرون:

من كفربما بلغه وصح عنده عن النبي فهوكافر

قال الإمام: وكل من بلغه وصح عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أجمع عليه المؤمنون مما جاء به النبي عليه السلام فهو كافر؛ كما قال تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرا} **النساء115**.

***

قال الإمام ابن أبي العز: فمن أنكر شيئًا مما جاء به الرسول كان من الكافرين، ومن ادعي علم الغيب كان من الكافرين.

المسألة الواحدة والعشرون:

القرآن كلام الله

قال الإمام: وأن القرآن الذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقًا وغربًا فما بين ذلك من أول أم القرآن إلى آخر المعوذتين كلام الله عز وجل ووحيه أنزله على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من كفر بحرف منه فهو كافر: قال تعالى: {فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ} التوبة6. وقال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ} 193-194 الشعراء. وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إليك قُرْآنا عَرَبِيّاً } الشورى7. وكل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح؛ وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتين.

المسألة الثانية والعشرون:

كل ما في القرآن عن نبي من الأنبياء فهو حق على ظاهره لا رمز في شئ منه

قال الإمام: وكل ما فيه من خبر عن نبي من الأنبياء أو مسخ أو عذاب أو نعيم أو غير ذلك فهو حق على ظاهره لا رمز في شئ منه، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إليك قُرْآنا عَرَبِيّاً} الشورى7. وقال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عليك الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ} النحل89. وأنكر تعالى على قوم خالفوا هذا فقال تعالى: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} النساء46.

المسألة الثالثة والعشرون:

لا سر في الدين عند أحد

قال الإمام: ولا سر في الدين عند أحد؛ قال الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} البقرة159. وقال تعالى: {لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَه} آل عمران187.

***

لذا عندما مات النبي صلى الله عليه وسلم وانتقل إلى الرفيق الأعلى سأل عمه العباس كل الحاضرين: هل أوصي رسول الله بشيء؟ فلما قيل له: لا. قال لعمار بن ياسر أن ينادي في الناس أن النبي لم يوص بشيء وأن لا سر في الدين عند أحد...

المسألة الرابعة والعشرون:

الملائكة حق

قال الإمام: وإن الملائكة حق؛ وهم خلق من خلق الله عز وجل مكرمون كلهم رسل الله؛ قال الله تعالى: {وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عليهم مِّن كُلِّ بَاب} **الرعد23**. وقال تعالى: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُون} **الأنبياء26**. وقال تعالى: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَة} **فاطر1**. خلقوا كلهم من نور وخلق آدم من ماء وتراب وخلق الجن من نار.

وعن عائشة؛ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم.

***

الملائكة خلق كريم من مخلوقات الله تعالى، هم الموكلون بالسموات والأرض بحيث أن كل حركة من حركات العالم ومخلوقاته فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرا} **النازعات5**. وقال: {فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرا} **الذاريات4**.. **قال الإمام ابن أبي العز:** وقد دل الكتاب والسنة على أَصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة؛ لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتالته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها عمل آلاتها ملائكة. فالملائكة أعظم جنود الله..

ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة وكلوا بعمارة السموات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله..

فهم عباد له مكرمون، منهم الصافون ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه.. ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل هو موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل هو الموكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم. فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون بالأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطت السماوات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها من موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

المسألة الخامسة والعشرون:

الملائكة أفضل خلق الله

قال الإمام: والملائكة أفضل خلق الله تعالى لا يعصي أحد منهم في صغيرة ولا كبيرة وهم سكان السماوات قال تعالى: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون} **التحريم6**. وقال تعالى: {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إليه جَمِيعا} **النساء172**. فهذا تفضيل لهم على المسيح عليه السلام.

وقال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا}**الإسراء70**. ولم يقل تعالى على كل من خلقنا.

ولا خلاف في أن بني آدم أفضل من كل خلق سوي الملائكة فلم يبقي إلا الملائكة، وإسجاده تعالى الملائكة لآدم على جميعهم السلام سجود تحية؛ فلو لم يكونوا أفضل منه لم يكن له فضيلة في أن يكرم بأن يحيوه.

***

هذه من المسائل المشهورة والتي دار فيها خلاف كبير بين الفقهاء والعلماء، فبعضهم يذهب إلى عكس ما قاله الإمام من أن البشر هم خير من الملائكة أو أن الأنبياء أفضل من الملائكة والذي أميل إله أن هذه المفاضلة بين نوعين أو صنفين من المخلوقات هو غير مقبول ولا صحيح فما علاقة الملائكة النورانية المنزهة عن الشهوات والنزوات الطائعة لربها العاملة بقوله القائمة على أمره بالبشر الترابيين أصحاب الشهوات والنزوات؟!

أعتقد أن المفاضلة لابد وأن تكون بين أصحاب الصنف الواحد فنقول مثلًا أن عند البشر الأنبياء هم خيرهم ثم أصحاب الأنبياء ثم الأصلح فالأصلح وهكذا أما المفاضلة بين البشر والملائكة فهي مفاضلة ظالمة للبشر وللملائكة أنفسهم.

كما إن هذه المسألة من بدع علم الكلام التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأئمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة ولا يتوقف عليها أصل من أصول الدين أو العقيدة.

قال الإمام ابن أبي العز: وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر أو الأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة. وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولًا، وحكي عن بعضهم ميلهم

إلى تفضيل الملائكة، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية.. وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها وأنها قريب مما لا يعني، ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه..

فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجبات لبين لنا نصًا.

المسألة السادسة والعشرون:

الجن حق

قال الإمام: وأن الجن حق وهم خلق من خلق الله عز وجل فيهم الكافر والمؤمن، يروننا ولا نراهم؛ يأكلون وينسلون ويموتون قال الله تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنس} **الرحمن33**. وقال تعالى: {وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُوم} الحجر27. وقال تعالى حاكيًا عنهم أنهم قالوا: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً. وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} **الجن14-15.**

وقال تعالى: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُم} **الأعراف27**. {كُلُّ مَنْ عليها فَان} الرحمن26. وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْت} **العنكبوت57.**

وعن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تستنجوا بالعظام ولا بالروث فإنهما زاد إخوانكم من الجن.

***

أن العقل لايرفض وجود الجن تلك المخلوقات التي خلقها الله تعالى من النار وأسكنها الأرض وكلفها بالعمل وأوقع عليها الحساب، فمن خلق الإنسان من تراب يخلق الجن من النار، فالله سبحانه وتعالى قادراً أن يخلق ما يشاء وكيفما يشاء.

يقول الإمام ابن حزم في الفصل عن الجن: لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم، ولا وجوب امتناع كونهم في العالم أيضاً بضرورة العقل..لكن علمنا بضرورة العقل إمكان كونهم.. لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ولا فرق بين أن يخلق خلقاً عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الأرض والهواء والماء وبين أن يخلق خلقاً عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والأرض بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته؛ لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم.

وقال أبو العباس بن تيميه في فتاويه: لم يخالف أحد من طوائف المسلمين وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن..لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواترا معلوما بالاضطرار إنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالإنسان وغيره كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواترا عن الأنبياء عليهم السلام تواتراً ظاهرا يعرفه العامة والخاصة لم يكن طائفة من طوائف المؤمنين بالرسل أن ينكرهم.. فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن.

إذاً الجن خلق موجود وحقيقة ثابتة يؤيدها العقل ولا يرفضها. ولكن رغم ذلك يبقي في غالب الأحوال إثبات الجان عن طريق السماع من الشرع لا العقل.. **قال القاضي عبد الجبار الهمداني:** اعلم إن الدليل على إثبات وجود الجن السمع دون العقل، وذلك انه لا طريق للعقل إلى إثبات أجسام غائبة.

ولهذا ستجد أن الكثير من الناس قد أنكروا وجود الجن كالفلاسفة والباطنية والماديين الذين يقولون لا نؤمن إلا بما تدركه حواسنا ونكفر بما لا ندركه. ومثل هؤلاء لن يصدقوا أبداً بوجود الجن إلا لو أمسكت بأحد الجن وعرضته عليه موثقاً في الأغلال، وإن لم ينكر احدهم وجود الروح سبب الحياة في جسده وإن لم يراها بعينه ولم يدركها بحواسه.

المسألة السابعة والعشرون:

البعث حق

قال ابن حزم: وأن البعث حق وهو وقت ينقضي فيه بقاء الخلق في الدنيا فيموت كل من فيها، ثم يحيى الموتي، يحيى عظامهم التي في القبور وهي رميم ويعيد الأجسام كما كانت وترد إلها الأرواح كما كانت؛ ويجمع الأولىن والأخرىن في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يحاسب فيها الجن والإنس فيوفي كل أحد قدر عمله.

قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يحيي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ, وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا, وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} **الحج 6-7**. وَقَالَ تعالى: {قَالَ مَنْ يحيي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يحييهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ علىمٌ} **يس 78-79**. وَقَالَ تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ علىهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} النور24. وَقَالَ تعالى: {قُلْ إِنَّ الأولىنَ وَالأخرىنَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} **الو اقعة 49-50**. وَقَالَ تعالى: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} **الحج 47**.

***

من يؤمن بالله تعالى لا يستبعد قط قدرة الله تعالى على إيجاد العالم مرة أخرى بعد فنائه وإقامة ساحة عامة للحساب حيث يلقي كل امرئ جزاءه العادل، فطالما أن الفلاح البسيط يستطيع أن يعيد زراعة أرضه

بعد حصاد ما كان فيها من ثمار وزروع، والبنّاء يستطيع أن يعيد بناء بيت قد تهدمت أركانه وتساقطت جنباته، فما الذي يجعل الخالق القادر على كل شيء يعجز عن إعادة إنشاء هذا العالم كله مرة أخرى بعد أن يبلغ أجله المسمى الذي حدده له من قبل أن يخلقه ويخرجه من العدم إلى الوجود؟!

المسألة الثامنة والعشرون:

الوحوش تحشر

قال ابن حزم: وإن الوحوش تحشر؛ قال الله تعالى: {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَت} **التكوير5**. وقال تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُون} **الأنعام38**. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.

***

وسر بعث الوحش والحيوان وقصاص الله تعالى لبعضهم من بعض لا يعلمه إلا الله تعالى لأنهم أولاً ليسوا عقلاء مسئولين عن أفعالهم وثانيًا لأنهم غير مكلفين وغير محاسبين على أفعالهم!

المسألة التاسعة والعشرون:

الصراط حق

قال الإمام: وأن الصراط حق وهو طريق يوضع بين ظهراني جهنم فينجو من شاء الله تعالى ويهلك من شاء. عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويضرب الصراط بين ظهري جهنم. وقال عليه السلام في هذا الحديث أيضًا: وفي جهنم كلإلىب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل حتى ينجي. وذكر باقي الخبر.

***

الصراط هو جسر على جهنم يمر من فوقه الناس يريدون العبور إلى الجنة، وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنون ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إلىهم. **قال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية:** واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله

(وما منكم إلا واردها) ماهو؟ والأظهر والأقوي أنه المرور على الصراط، قال تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وفي الصحيح أنه **صلى الله عليه وسلم قال:** والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله إلس الله يقول (وما منكم إلا واردها) فقال: ألم تسمعيه قال (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا). أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها. كذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بين صلى الله عليه وسلم أن الورود هو المرور على الصراط.

المسألة الثلاثون:

الموازين حق

قال الإمام: وأن الموازين حق توزن فيها أعمال العباد نؤمن بها، ولا ندري كيف هي! قال الله عز وجل: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} **الأنبياء47**. وقال تعالى: {فأما مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ} **القارعة 6-11**.

***

وقد يكون هناك ميزان واحد لوزن الأعمال، والموزونات كثر، أو قد يكون هناك أكثر من ميزان والله تعالى أعلى وأعلم. **وقد قال الإمام ابن حزم في الفصل:** وأما من قال بما لا يدري أن ذلك الميزان ذو كفتين فإنما قاله قياساً على موازين الدنيا، وقد أخطأ في قياسه إذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرطسون، وأما نحن فإنما اتبعنا النصوص الواردة في ذلك فقط ولا نقول إلا بما جاء به قرآن أو سنة صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا ننكر إلا ما لم يأت فيهما ولا نكذب إلا بما فيهما إبطاله وبالله تعالى التوفيق. **وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي صاحب شرح العقيدة الطحاوية:** ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل رسل مبشرين ومنذرين. وكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه.

المسألة الواحدة والثلاثون:

الحوض حق

قال الإمام: وأن الحوض حق من شرب منه لم يظمأ أبدًا. عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفسي بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية؛ آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب في ميزابات من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة؛ ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلي من العسل.

***

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض كثيرة وتبلغ حد التواتر، منها قوله **صلى الله عليه وسلم:** إني فرطكم على الحوض، من مر بي شرب؛ ومن شرب لم يظمأ أبداً.. والفرط: هو الذي يسبق إلى الماء. والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة هذا الحوض أنه حوض عظيم ماءه أشد بياضاً من الثلج وأحلي من العسل باللبن، وأطيب ريحاً من المسك، وآنيته أو أكوابه أكثر من عدد النجوم، قال **رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه. قالوا: أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء.

والحوض أيضاً هو الكوثر الذي أعطي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه كرامة له، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** أنزلت على آنفا سورة: بسم الله الرحمن الرحيم: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ. أتدرون ما الكوثر؟ فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته كعدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي. فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك. **والحوض قبل الميزان، قال القرطبي في التذكرة:** اختلف الناس في الميزان والحوض، أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل الميزان قبل، وقيل الحوض، قال الحسن القابسي، والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، فيقدم قبل الميزان والصراط.

المسألة الثانية والثلاثون:

الشفاعة حق

قال ابن حزم: وأن شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته فيخرجون من النار ويدخلون الجنة؛ قال الله عز وجل: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه} **البقرة 255**. عن أنس بن مالك: لكل نبي دعوة دعاها لأمته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، أو قال: بخطاياهم، فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجئ لهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل.

ضبائر: جمع ضبارة وهي الجماعة من الناس.

***

اختلف الناس في الشفاعة؛ فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبعهم قالوا: لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها. وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة.

واحتج المانعون بقول الله عز وجل: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين}**المدثر48**، وبقوله عز وجل: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّه}**الانفطار19**، وبقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَدا} **الجن21**، وبقوله تعالى: {وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَة}**البقرة48**. وبقوله تعالى: {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَة} **البقرة254**.

ورد عليهم الإمام ابن حزم في الفصل بقوله: لا يجوز الإقتصار على بعض القرآن دون بعض ولا على بعض السنن دون بعض ولا على القرآن دون بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال له ربه عز وجل: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إليهم} **النحل44**. وقد نص الله على صحة الشفاعة في القرآن فقال تعالى: {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدا} **مريم87**. فأوجب عز وجل الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهداً بالشفاعة. وصحت بذلك الأخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لها قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا} **طه109**. وقال تعالى : {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَه} **سبأ23**. فنص تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضي قوله، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أفضل ولد آدم عليه السلام. وقال تعالى: {مَن ذَا الَّذِي

يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه} البقرة255، وكم من ملوك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، وقال تعالى:{مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِه} يونس3.

فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقيناً أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي أثبتها عز وجل وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عليهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا} فاطر36. نعوذ بالله منها فإذ لا شك فيه فقد صح يقيناً أن الشفاعة التي أوجب الله عز وجل لمن أذن له واتخذ عنده عهداً ورضي قوله فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام وهكذا جاء الخبر الثابت.

المسألة الثالثة والثلاثون:

الصحف حق

قال الإمام: وأن الصحف تكتب فيها الملائكة أعمال العباد حق نؤمن بها ولا ندري كيف هي؛ قال الله عز وجل: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد} ق 17-18.

وقال تعالى: {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون} الجاثية. 29. وقال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ} الإسراء 13-14.

المسألة الر ابعة والثلاثون:

الناس يعطون كتبهم يوم القيامة

قال ابن حزم: وأن الناس يعطون كتبهم يوم القيامة فالمؤمنون الفائزون الذين لا يعذبون يعطونها بأيمانهم؛ والكفار بأشملهم والمؤمنون أهل الكبائر وراء ظهورهم قال الله عز وجل: {فأما مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُور} الإنشقاق 7-14.

وَقَالَ تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيم} الحاقة 25-34.

المسألة الخامسة والثلاثون:

على كل إنسان حافظين من الملائكة

قال ابن حزم: وإن على كل إنسان حافظين من الملائكة يحصيان أقواله وأعماله، قال الله عز وجل: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد} ق **17-18**.

***

قال تعالى في كتابه الكريم: {وَإِنَّ عليكمْ لَحَافِظِينَ.كِرَاماً كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُون} **الانفطار10-12. أي:** وإن عليكم لملائكة رقباء، كرامًا على الله كاتبين لما وُكِّلوا بإحصائه, لا يفوتهم من أعمالكم وأسراركم شيء, يعلمون ما تفعلون من خير أو شر. **قال ابن أبي العز:** جاء في التفسير: اثنان عن اليمين وعن الشمال، يكتبان الأعمال: صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد من أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة أخرين بالليل بدلًا؛ حافظان وكاتبان. وقال عكرمة: عن ابن عباس: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ} **الرعد11**. قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفهن فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

المسألة السادسة والثلاثون:

من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة

قال الإمام: ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا, ومن هم بسيئة فإن تركها لله تعالى كتبت له حسنة؛ فإن تركها بغلبة أو نحو ذلك لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة. عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جَرَّايَ. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة تكتب له بمثلها حتى يلقي الله عز وجل.

المسألة السابعة والثلاثون:

الإسلام يجب ما قبله

قال الإمام: ومن عمل في كفره عملًا سيئًا ثم أسلم فإن تمادي على تلك الإساءة حوسب وجوزي في الآخرة بما عمل من ذلك في شركه وإسلامه وإن تاب عن ذلك سقط عنه ما عمل في شركه وإسلامه؛ فإن لم يسلم جوزي بذلك في الدنيا ولم ينتفع بذلك في الآخرة. عن ابن عباس أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدًا صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، ولو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالْحَقِ وَلاَ يَزْنُونَ وَمِنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا} **الفرقان 68-70**. فلم يسقط الله عز وجل تلك الأعمال السيئة إلا بالإيمان مع التوبة مع العمل الصالح.

عن ابن مسعود قال: قال أناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام.

وعن ابن مسعود قال: قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية فقال: من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر.

وعن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام أخبره أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي رسول الله أرأيت أمورًا كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم أفيها أجر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسلمت على ما أسلفت من خير. فإن ذكروا قول الله عز وجل: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ}**الأنفال38**. وقوله عليه السلام لعمرو بن العاص: إن الإسلام يهدم ما كان قبله، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله.

قلنا: إن كلامه عليه السلام لا يعارض كلامه، ولا كلام ربه، ولو كان ذلك وقد أعاذ الله من هذا لما كان بعضه أولي من بعض ولبطلت حجة كل أحد بما يتعلق به منه.

وكذلك القرآن لا يعارض القرآن ولا السنة، قال عز وجل: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيرا}**النساء82**. فأما قوله تعالى: {إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} **الأنفال 38**. فنعم هذا هو نفس قولنا: إن من انتهي غفر له. وأما من لم ينته عنه فلم يقل الله تعالى أنه يغفر له فبطل تعلقهم بالآية. وأما قوله عليه السلام: إن الإسلام يهدم ما قبله. فحق وهو قولنا؛ لأن الإسلام اسم واقع على جميع الطاعات والتوبة من عمل السوء من الطاعات. وكذلك قوله عليه السلام في الهجرة إنما هي التوبة من كل ذنب، كما صح عنه

عليه السلام: المهاجر من هجر ما نهي الله عنه. عن عبد الله عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهي الله عنه. وعن مسروق عن عائشة أم المؤمنين قالت: قلت يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعة. قال: لا ينفعه إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيعطي بحساب ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضي إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها.

المسألة الثامنة والثلاثون:

عذاب القبر حق

قال الإمام: وأن عذاب القبر حق ومساءلة الأرواح بعد الموت حق ولا يحيا أحد بعد موته إلى يوم القيامة. عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} قال: نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها. قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل . قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه. قال حماد: وذكر من نتنها وذكر لعنها. ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل.

***

لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وضع خاص عند الموت وفي القبر دون بقية الأمم، فأمة محمد يمتد اختبارها لحين دخولها القبر، أما بقية الأمم فيحسم أمرها بوضعها الإيماني عند الموت. هذا الوضع الخاص هو فتنة القبر؛ وقد قلنا فتنة القبر حتى لا نضيق الفكرة فنقول عذاب القبر، إذ أن في القبر عذاب ونعيم، والذي يمكن أن نقرره في هذا الباب أن فتنة القبر خاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وبرهان ذلك قوله عليه السلام: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ..الحديث.

والمقصود بالأمة هي أمة محمد فدل هذا على أن حساب القبر أو فتنة القبر هو ليس لكل الأمم بل هو مخصوص بتلك الأمة المحمدية فقط. كذلك فالمتبع لأحاديث القبر سيجد أن الميت سوف يسأل عن محمد عليه السلام وماذا يقول في هذا الرجل، فدل هذا على أن السؤال هو لأتباع محمد فقط لأن غيره من أهل الكتاب أو غيرهم قد بان أمرهم تجاه خاتم النبيين محمد في فترة حياتهم الدنيا، أما من شهد أن لا

إله إلا الله محمد رسول الله فهو الأولى بهذا السؤال في القبر فيقال له ما قولك في نبي الله محمد، فإن كان من المسلمين المحققين إسلامهم فلسوف يشهد من فوره أنه محمد هذا هو نبي الله ورسوله، أما من قلد أو من لم يحقق إسلامه فلسوف يتتعتع في الكلام فيقول: ها، لا أدري. أما عذاب القبر فهو ليس بمخصوص بأمة محمد فقط بل هو لكل كفار الأمم من أمة محمد وغيرها ودليله هو قوله تعالى في جند فرعون لعنه الله: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عليها غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}45-46غافر. وفي هذه الآية دليل على عذاب آل فرعون في القبور إذ يقول تعالى: -النار يعرضون عليها غدواً وعشياً- وهذا عذاب القبر أو عذاب البرزخ لأنهم لم يذوقوا أو لم يعرضوا على النار في حياتهم الدنيا، ولم يدخلوا بعد نار الآخرة، فلم يبقي إلا عذابهم في الحياة البرزخية، كذلك لأنه تعالى يقول بعدها: - ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب- فصح قولنا من أن العذاب أو النار التي يعرضون عليها هي في حياتهم البرزخية أو في قبورهم، حيث أن قبر كل إنسان هو مكان دفن جسده من الأرض، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً، ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، كل هؤلاء سيصلهم نصيبهم من العذاب ما يصل إلى المقبور. وقد كان الإمام بن حزم يذهب إلى إن سؤال القبر وعذابه أو نعيمه إنما يقع على الروح دون الجسد الذي يبلي ويستحيل تراباً، وقد رد من أجل هذا كافة الروايات النبوية التي ذكر فيها عودة الروح إلى الجسد بعد الموت.

والذي نميل إله ونتفق فيه مع الإمام أن سؤال القبر وعذابه ونعيمه يمر على الإنسان كما يمر عليه الرؤية أو الحلم، فالإنسان لو حلم أن أحدهم يحرقه بالنار فلسوف يتعذب تماماً كما لو كان يحدث في اليقظة، وكذلك عذاب القبر وسؤاله هو عالم روحي تتحكم فيه الروح فقط، ولهذا نقول أن الميت عند قبره ترتد أو تركب فيه الروح بطريقة مخصوصة بحيث أنه يمكن سؤال روحه وهي متعلقة بجسده عن حقيقة عقيدته، ثم إن ثبت حسن عقيدته فأنه يرى بشارات من نعيم الآخرة بأن يرى نعيم الجنة في قبره، وإن ثبت فساد عقيدته فأنه يرى بشارات من عذاب الآخرة، بأن يرى عذاب النار في قبره، وكل هذا إنما يدور في عالم روحاني لا قبل لنا بملاحظته ولا مشاهدته تماماً كما لا يمكننا الولوج إلى عالم الأحلام في الحياة الدنيا. فلو كان أحدهم مقبور في قبر زجاجي راقداً أمام أعين كل الناس، ما شاهده أحد من أهل الدنيا الأحياء ذلك العذاب أو النعيم الذي فيه صاحب القبر الزجاجي، لذا فلا مجال لإثبات عذاب القبر إلا بالنص الشرعي الصحيح الذي بين أيدينا من كتاب وسنة، والواجب علينا تصديق وقوعه طالما أننا نؤمن بالغيب.

المسألة التاسعة والثلاثون:

الحسنات يذهبن السيئات

قال الإمام: والحسنات تذهب السيئات بالموازنة، والتوبة تسقط السيئات والقصاص من الحسنات. قال الله عز وجل: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ}طه82. وقال تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}هود114. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار. وقال الله عز وجل: {اليوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَت}غافر17.

المسألة الأربعون:

عيسى لم يقتل ولم يصلب

قال الإمام: وأن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ولكن توفاه الله عز وجل ثم رفعه إليه. وقال عز وجل: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوه} النساء157. وقال تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إلي}آل عمران55. وقال تعالى عنه أنه قال: {وَكُنتُ عليهمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عليهمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد}المائدة117. وقال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا}الزمر42.

فالوفاة قسمان: نوم وموت ولم يرد عيسى عليه بقوله فلما توفيتني وفاة النوم. فصح أنه إنما عني وفاة الموت، ومن قال إنه عليه السلام قتل أو صلب فهو كافر مرتد حلال دمه وماله لتكذيبه القرآن وخلافه الإجماع.

***

وكما نرى فإن الإمام بن تيمية قد خالف الإمام بن حزم فالأول يقول أن المسيح حي كما رأينا من قبل، والآخر يقول أن عيسى ميت وأن وقت نزوله ليقتل الدجال سوف يبعث من جديد؛ والله أعلى وأعلم بالحق.

المسألة الواحدة والأربعون

لا يرجع محمد ولا أحد من أصحابه إلى يوم القيامة

قال الإمام: وأنه لا يرجع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم إلا يوم القيامة إذا رجع الله المؤمنين والكافرين للحساب والجزاء. هذا إجماع جميع أهل الإسلام المتقين قبل حدوث الروافض المخالفين لإجماع أهل الإسلام المبدلين للقرآن المكذبين بصحيح سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم المجاهرين بتوليد الكذب المتناقضين في كذبهم أيضًا وقال عز وجل: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يحييكُم}**البقرة28**. فادعوا من رجوع علي رضي الله عنه ما لا يعجز أحد عن أن يدعي مثله لعمر أو لعثمان أو لمعاوية، رضي الله عنهم، أو لغير هؤلاء: إذا لم يبال بالكذب والدعوي بلا برهان لا من قرآن، ولا من سنة ولا من إجماع ولا من معقول وبالله تعالى التوفيق.

المسألة الثانية والأربعون:

مستقر الأرواح

قال ابن حزم: وأن الأنفس حيث رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه السلام، وأرواح أهل الشقاء عن شماله عند سماء الدنيا لا تفني ولا تنتقل إلى أجسام أخر، لكنها باقية حية حساسة عاقلة في نعيم أو نكد إلى يوم القيامة فترد إلى أجسادها للحساب وللجزاء بالجنة أو النار، حاشا أرواح الأنبياء عليهم السلام وأرواح الشهداء فإنها الآن ترزق وتنعم. ومن قال بانتقال الأنفس إلى أجسام آخر بعد مفارقتها هذه الأجساد فقد كفر.

برهان هذا: عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا: افتح. قال: من هذا؟ قال جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم. قال: فأرسل إليه قال نعم، ففتح فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة (الجمع الكثيف) وعن شماله أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى. فقال: مرحبا بالنبي الصالح والإبن الصالح. قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا آدم؛ وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل إلىمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار؛ فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى.. إلى آخر الحديث.

***

اختلف الناس في مستقر الأرواح بعد خروجها من الأجساد بالموت.. أين تذهب هذه الأرواح بعد الموت وأين تستقر: فذهب قوم من الروافض إلى أن أرواح الكفار ببيرهونت وهو بئر بحضرموت، وأن أرواح المؤمنين بموضع آخر هو الجابية، وهذا قول فاسد لأنه لا دليل عليه أصلاً؛ وما لا دليل عليه فهو ساقط ولا يعجز أحد عن أن يدعي للأرواح مكاناً آخر غير ما ادعاه هؤلاء. **قال ابن حزم في الفصل:** وذهب عوام أصحاب الحديث إلى أن الأرواح على أفنية قبورها، وهذا قول لا حجة له أصلاً تصححه إلا خبر ضعيف لا يحتج بمثله لأنه في غاية السقوط لا يشتغل به أحد من علماء الحديث، وما كان هكذا فهو ساقط أيضاً.

وذهب أبو الهذيل العلاف والأشعرية إلى أن الأرواح أعراض تفنى ولا تبقى وقتين فإذا مات الميت فلا روح هنالك أصلاً، ومن عجائب أصحاب هذه المقالة الفاسدة قولهم: أن روح الإنسان الآن غير روحه قبل ذلك، وأنه لا ينفك تحدث له روح ثم تفني وهكذا أبداً، وأن الإنسان يبدل ألف ألف روح وأكثر في مقدار أقل من ساعة زمانية.

وقد بينا خطأ مذهب الإمام في هذه المسألة، حين قال أن الذين عن يمين آدم وعن شماله في السماء الأولى هم أوارح بنيه بعد الموت فمن عن يمينه أهل السعادة المؤمنين؛ ومن عن شماله هم أرواح أهل الشقاء الكافرين؛ إذ أن أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء بنص قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء} **الأعراف40**. فكيف يكون مستقر أرواح العباد هو الذي عن يمين آدم وشماله في السماء الأولى؟! ولقد أثبتنا بفضل الله تعالى أن الذين عن يمين آدم وشماله هم نسخ طبق الأصل من الإنسانية جمعاء بحيث يكون لكل فرد من بني آدم نسخة إما عن يمين آدم-أهل اليمين- وإما عن شمال آدم-أهل الشمال- وكل فرد من أفراد تلك الإنسانية العظيمة خرج إلى الوجود على مثال نسخته التي في السماء الأولى. والواضح أنه ليس للأرواح شقيها وسعيدها مستقر واحد بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض . وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب وكان لك فضل اعتناء عرفت حجة ذلك. ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضاً. والمفهوم منه أن مستقرها يتفاوت بتفاوت حال صاحبها إيمانًا وكفرًا وصلاحًا وفسقًا. والصحيح الذي بين أيدينا هو أن أرواح العباد على أربعة أقسام بعد الموت: الأرواح المؤمنة، والأرواح الكافر، وأرواح الشهداء، وأرواح الأنبياء.

أما الروح المؤمنة فهي في الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم: إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه. أي روحه - طير- أي كطير –يعلق- أي يأكل.

قال ابن القيم في شرح الحديث: يحتمل أن يكون هذا الطائر مركبا للروح كالبدن لها ويكون لبعض المؤمنين والشهداء ويحتمل أن يكون الروح في صورة طائر وهذا اختيار ابن حزم وابن عبد البر. **قال ابن كثير في -تفسيره-:** وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة.

قال العلامة ابن القيم في (كتاب الروح) : هذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها وهي إنما تتلقى من السمع فقط، واختلف في ذلك فقال قائلون : أرواح المؤمنين عند الله تعالى في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين ويلقاهم ربهم بالعفو عنهم وهذا مذهب أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما. وهو الذي جزم به **شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى، وقال:** ومع ذلك فتتصل بالبدن متى شاء الله وذلك في اللحظة بمنزلة نزول الملك وظهور الشعاع في الأرض وانتباه النائم.

أما الروح الكافرة: فهي على التحقيق في مكان ما يسمي باب الأرض، كما في الحديث النبوي الصحيح: وإن الكافر إذا حضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله فيخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا بها باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا بها أرواح الكفار. وبالطبع لا ندري أين باب الأرض هذا إلا أنه مكان ما في الأرض وليس في السماء كما ذهب ابن حزم وغيره.

أما أرواح الشهداء: فمكانها معلوم في الجنة في حواصل طير خضر تسرح في الجنة أينما شاءت كما في قوله صلى الله عليه وسلم: إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها قناديل معلقة تحت العرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل. فاطلع إلهم ربهم اطلاعه فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا.

أما أرواح الأنبياء: قال الإمام السيد محمد رشيد رضا في أحاديث حياة الأنبياء بعد الموت: وهي في مجموعها تدل على أن الأنبياء أحياء في البرزخ، ولكن هذه الحياة غيبية لا نعرف حقيقتها، وهي ليست كالحياة في هذه الدنيا، كما حققه ابن القيم في كتاب الروح وغيره من المحققين. وإذا لم تنهض هذه الأحاديث حجة على ما يجب الإيمان به من عالم الغيب، فعندنا البرهان القطعي وهو كتاب اله تعالى الناطق بحياة الشهداء عند ربهم والأنبياء أفصل منهم وأجدر بهذه الحياة، وبما هو أعلى منها. ولكن الواجب علنا أن نفوض العلم بكيفية ذلك إلى الله تعالى، ولا نقيسه إلى أمر الدنيا كما فعل بعضهم إذ قالوا: أن الأنبياء يأكلون في قبورهم ويشربون وينكحون، وكل هذا من الجراءة على عالم الغيب والقول فيه بالرأي. والمتبادر من قوله تعالى(أحياء عند ربهم) أن هذه العندية أعلى من الثواء في القبور؟ وقد ورد فيها أحاديث

بأن أرواحهم تسرح في الجنة، أو تكون معلقة بالعرش، ولا محل لإيرادها هنا، وإنما نقول:إن الواجب علينا هو أن نعتقد أن الموت ليس عدماً محضاً وأن في البرزخ حياة قبل حياة الآخرة، وكلاهما من عالم الغيب الذي نفوضه إلى الله تعالى.

المسألة الثالثة والأربعون:

الوحي قد انقطع

قال ابن حزم: وأن الوحي قد انقطع منذ مات النبي صلى الله عليه وسلم.

برهان ذلك: أن الوحي لا يكون إلا إلى نبي, وقد قال عز وجل: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين} **الأحزاب40.**

***

قال ابن أبي العز: وقد ذكروا فروقًا بين النبي والرسول وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل العكس فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها.

المسألة الر ابعة والأربعون:

الدين قد تم

قال الإمام: والدين قد تم فلا يزاد فيه، ولا ينقص منه، ولا يبدل، قال تعالى: {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} **المائدة 3.** وقال تعالى: {لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} **الأنعام 34.** والنقص والزيادة تبديل.

المسألة الخامسة والأربعون:

الرسول بلغ الدين كله

قال الإمام: قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين كله وبين جميعه كما أمره الله تعالى، قال تعالى: {وَإِنَّك لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ} **الشورى 52-53**. وقال تعالى: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ} **النحل 44. قال الإمام ابن تيمية في مجموع فتاويه:** ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئًا؛ فإن كتمان ما أنزله اللَّهُ إليه يناقض موجب الرسالة؛ كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة. ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة، كما أنه معصوم من الكذب فيها. والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره اللَّه، وبين ما أنزل إليه من ربه، وقد أخبر اللَّه بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمل بما بلغه؛ إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه، فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه اللَّه لعباده كما قال صلى الله عليه وسلم: تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك. وقال: ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به، وما من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به. وقال أبو ذر: لقد توفي رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا.

المسألة السادسة والأربعون:

حجة الله قد قامت

قال ابن حزم: وحجة الله تعالى قد قامت واستبانت لكل من بلغته النذارة من مؤمن وكافر وبر وفاجر، قال الله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ} البقرة 256. وقال تعالى: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ, عَنْ بَيِّنَةٍ وَيحيى مِنْ حَيَّ, عَنْ بَيِّنَةٍ} **الأنفال 42.**

المسألة السابعة والأربعون:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض

قال الإمام: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان على كل أحد على قدر طاقته باليد، فمن لم يقدر فبلسانه، فمن لم يقدر فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ليس وراء ذلك من الإيمان شيء. قال الله عز وجل: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}**آل عمران104.**

المسألة الثامنة والأربعون:

الاعتقاد بالقلب

قال ابن حزم: فمن عجز لجهله أو عتمته عن معرفة مثل هذا فلابد له أن يعتقد بقلبه ويقول بلسانه حسب طاقته بعد أن يفسر له لا إله إلا الله محمد رسول الله كل ما جاء به حق وكل دين سواه باطل. عن أبي هريرة: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله. وقال عز وجل: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين} **آل عمران85.**

المسألة التاسعة والأربعون:

أفضل الإنس والجن الرسل

قال الإمام: وبعد هذا فإن أفضل الإنس والجن الرسل ثم الأنبياء على جميعهم من الله تعالى ثم منا أفضل الصلاة والسلام ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الصالحون. قال تعالى: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَة} فاطر1. وقال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاس} **الحج75**. وهذا لا خلاف فيه من أحد.

وقال عز وجل: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} **الحديد10**. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر قوم يشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويخونون ولا يؤتمنون ويفشو فيهم السمنُ.

المسألة الخمسون:

الله خالق كل شئ سواه

قال الإمام: وأن الله تعالى خالق كل شئ سواه لا خالق سواه، قال الله عز وجل: {اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}الرعد16. وقال تعالى:{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ} لقمان11. وقال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا}الفرقان59.

المسألة الواحدة والخمسون:

لا يشبهه عزوجل شئ من خلقه

قال الإمام: ولا يشبهه عز وجل شئ من خلقه في شئ من الأشياء. قال عز وجل: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} الشورى11. وقال تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} الإخلاص4 .

المسألة الثانية والخمسون:

الله لا في مكان ولا في زمان

قال الإمام: وأنه تعالى لا في مكان ولا في زمان بل هو تعالى خالق الأزمنة والأمكنة، قال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرا}الفرقان2. وقال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا} الفرقان59. والزمان والمكان فهما مخلوقان، قد كان تعالى دونهما، والمكان إنما هو للأجسام، والزمان إنما هو مدة كل ساكن أو متحرك أو محمول في ساكن أو متحرك، وكل هذا مبعد عن الله عز وجل.

المسألة الثالثة والخمسون:

الله من يسمي نفسه

قال ابن حزم: ولا يحل لأحد أن يسمي الله عز وجل بغير ما سمي به نفسه ولا أن يصفه بغير ما أخبر به تعالى عن نفسه، قال عز وجل: {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ} الأعراف180. فمنع الله تعالى أن يسمي إلا بأسمائه الحسني وأخبر أن من سماه بغيرها فقد ألحد. والأسماء الحسني بالألف واللام لا تكون إلا معهودة، ولا معروف في ذلك إلا ما نص الله تعالى عليه، ومن ادعي زيادة

على ذلك كلف البرهان على ما ادعي، ولا سبيل له إلىه، ومن لا برهان له فهو كاذب في قوله ودعواه.قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

***

ستجد أن هناك أسماء لله تعالى بين الناس دارجة ما أنزل الله بها من سلطان وكلها مخالفة للشرع مثال ذلك: الناصر؛ كما في عبد الناصر، الستار؛ كما في عبد الستار، والنور، وغيرهم كثير.

قال الإمام ابن أبي العز: والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة.

المسألة الرابعة والخمسون:

لله تسعة وتسعين اسمًا

قال الإمام: وأن له عز وجل تسعة وتسعين اسمًا مائة غير واحد، وهي أسماؤه الحسني، من زاد شيئًا من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه، وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسنة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة. وقد صح أنها تسعة وتسعون اسمًا فقط، ولا يحل لأحد أن يجيزأن يكون له اسم زائد لإنه عليه السلام قال: مائة غير واحد, فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم، ولو كان هذا لكان قوله عليه السلام مائة غير واحد كذبًا ومن أجاز هذا فهو كافر. وقال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرِ}الحشر23. وقد قصينا كثيرا منها بالأسانيد الصحاح في كتاب الإيصال والحمد لله رب العالمين.

المسألة الخامسة والخمسون:

لا يجوز اشتقاق اسمًا لله

قال الإمام: ولا يحل لأحد أن يشتق لله تعالى اسمًا لم يسم به نفسه. برهان ذلك: أنه تعالى قال: {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} وَقَالَ: {وَأَكِيدُ كَيْدًا} وَقَالَ تعالى: {خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}، {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ}. ولا يحل لأحد أن يسميه البناء ولا الكياد ولا الماكر ولا المتجبر ولا المستكبر لا على أنه المجازي بذلك ولا على وجه أصلًا ومن ادعي غير هذا فقد ألحد في أسمائه تعالى وتناقض وقال على الله تعالى الكذب وما لا برهان له به. وبالله تعالى التوفيق.

المسألة السادسه والخمسون:

الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا

قال ابن حزم: وأن الله تعالى يتنزل كل ليلة إلى سماء الدنيا وهو فعل يفعله عز وجل ليس حركة، ولا نقلة. **برهان ذلك:** عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزل الله كل ليلة إلى سكاء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له. وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول: فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فاستجيب له، من الذي يسألني فأعطيه، من الذي يستغفرني فأغفر له، فلا تزال كذلك حتى يضئ الفجر. قال مسلم: عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مضي شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل يعطي، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، حتى يتفجر الصبح. وأوقات الليل مختلفة باختلاف تقدم غروب الشمس عن أهل المشرق وأهل المغرب. فصح أنه فعل يفعله الباري عز وجل من قبول الدعاء في هذه الأوقات لا حركة والحركة والنقلة من صفات المخلوقين حاشا الله تعالى منها.

***

بالطبع حديث النزول في الصحاح؛ وبلا جدال أو خوض فيما ليس لنا به علم نقول وبالله التوفيق: أن الله تعالى ينزل سبحانه في آخر الليل كما قال عنه رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وينزل سبحانه وتعالى بلا كيف. وأما ما وراء ذلك من أسئلة فهو بدعة مختلقة لم يقل بها لا رسول الله ولا صحابته كأن يقال: هل يخلو العرش منه سبحانه أم لا؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المبتدعة. **قال الإمام ابن تيمية في مجموع فتاويه:** وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات؛ كوصفه بالاستواء إلى السماء وهي دخان، ووصفه بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، ووصفه بالإتيان والمجيء في مثل قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ} **البقرة210**، وقوله: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} **الفجر22**، وأمثال ذلك من الأفعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسميها النحاة أفعالًا متعدية، وهي غالب ما ذكر في القرآن، أو يسمونها لازمة لكونها لا تنصب المفعول به، بل لا تتعدى إليه إلا بحرف الجر، كالإستواء إلى السماء وعلى العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، ونحو ذلك؛ ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن القول في جميع ذلك من جنس واحد..

ومذهب سلف الأمة و أئمتها: أنهم يصفونه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في النفي والإثبات. والله سبحانه وتعالى قد نفي عن نفسه مماثلة المخلوقين، فقال الله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} **سورة الإخلاص**، فبين أنه لم يكن أحد كفوًا له، وقال تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} مريم65، فأنكر أن يكون له سميّ، وقال تعالى: {فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً} **البقرة22**، وقال تعالى: {فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ} **النحل74**، وقال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} **الشورى11**. ففيما أخبر به عن نفسه، من تنزيهه عن الكفء، والسَّمِيّ، والمثل، والنِّدّ، وضرب الأمثال له؛ بيان أن لا مثل له في صفاته، ولا أفعاله. فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها. فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه، هو كما يناسب ذاته ويليق بها، كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته؛ ولهذا قال بعضهم: إذا قال لك السائل: كيف ينزل، أو كيف استوى، أو كيف يعلم، أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته؛ فقل له: وأنا لا أعلم كيفية صفاته، فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف. قال الخلال في كتاب السنة:عن سليمان بن حرب، قال: سأل بشر بن السُّرِّي حماد بن زيد فقال: يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا. يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد, ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء.

المسألة السابعة والخمسون:

القرآن كلام الله وعلمه غير مخلوق

قال الإمام: والقرآن كلام الله وعلمه غير مخلوق. قال عز وجل: {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُم} يونس19. فأخبر عز وجل أن كلامه هو علمه وعلمه تعالى لم يزل غير مخلوق. وهو المكتوب في المصاحف والمسموع من القارئ والمحفوظ في الصدور، والذي نزل به جبريل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم. كل ذلك كتاب الله تعالى وكلامه القرآن حقيقة لا مجاز، من قال: في شيء من هذا أنه ليس هو القرآن ولا هو كلام الله تعالى فقد كفر، لخلافه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع أهل الإسلام، قال الله عز وجل: {اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ}**التوبة6**. وقال تعالى: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون} **البقرة75**.

وقال تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} **البروج 21-22**. وقال تعالى: {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} **الواقعة 78-80**. وَقَالَ تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} **العنكبوت 49**. وَقَالَ تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} **الشعراء 193-194**. وعن عبد الله بن عمر قال: نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو. ولا يحل أحد أن يصرف كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المجاز عن الحقيقة بدعواه الكاذبة. وبالله التوفيق.

المسألة الثامنه والخمسون:

علم الله حق

قال الإمام: وعلم الله تعالى حق لم يزل عز وجل علمًا بكل ما كان أو يكون مما دق أو جل لا يخفي عليه شئ. قال عز وجل: {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم}**البقرة29**. وهذا عموم لا يجوز أن يخص منه شئ، وقال تعالى: {يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}**طه7**. والأخفى من السر هو مما لم يكن بعد.

المسألة التاسعه والخمسون:

قدرته وقوته حق لا يعجزه شيء

قال الإمام: وقدرته عز وجل وقوته حق لا يعجز عن شيء ولا عن كل ما يسأل عن السائل من محال أو غيره مما لا يكون أبدًا. قال عز وجل: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُون} **فصلت15**. عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة فذكر الحديث وفيه: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك. وقال عز وجل: {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} **الزمر4**. وقد أخبر عز وجل أنه قادر على ما لا يكون أبدًا. قال عز وجل:{عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُن} التحريم 5. وَقَالَ تعالى: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} **آل عمران 29**. وَقَالَ تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون} **يس 82**. ولو لم يكن تعالى كذلك لكان متناهي القدرة، ولو كان متناهي القدرة لكان محدثًا تعالى الله عن ذلك، وهو تعالى مرتب كل ما خلق وهو الذي أوجب الواجب وأمكن الممكن وأحال المحال، ولو شاء أن يفعل كل ذلك على خلاف ما فعله، لما أعجزه ذلك ولكان قادرًا عليه، ولو لم يكن كذلك لكان مضطرًا لا مختارًا. وهذا كفر ممن قاله. قال تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} **القصص 68**.

المسألة الستون:

الله وصفاته

قال الإمام: وأن لله عز وجل عزًا وعزة، وجلالًا وإكرامًا ويدًا ويدين وأيد، ووجهًا وعينًا وأعينًا وكبرياء، وكل ذلك حق لا يرجع منه، ولا من علمه تعالى وقدره وقوته إلا إلى الله تعالى، لا إلى شئ غير الله عز وجل أصلًا، مقر من ذلك مما في القرآن، وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولا يحل أن يزاد في ذلك ما لم يأت به نص من قرآن أو سنة صحيحة. قال عز وجل: {ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام} **الرحمن27**. وقال تعالى: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم} **الفتح10**. وقال: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَ} **ص75**. وقال: {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاما} **يس71**. و {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّه}**الإنسان9**. و {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِ}**طه39**. و {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}**الطور48**. ولا يحل أن يقال عينين؛ لإنه لم يأت بذلك نص، ولا أن يقال: سمع وبصر، ولا حياة لإنه لم يأت بذلك نص، لكنه تعالى سميع بصير حي قيوم. عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العز إزاره والكبرياء رداؤه. يعني الله تعالى. وعن أبي هريرة: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث: خلق الله تعالى الجنة والنار: أن جبريل قال لله تعالى وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. ولو كان شئ من ذلك غير الله تعالى لكان إما لم يزل وأما محدثًا، فلو كان لم يزل لكان مع الله تعالى أشياء غيره لم تزل، وهذا شرك مجرد، ولو كان محدثًا لكان تعالى بلا علم ولا قوة ولا قدرة ولا عز ولا كبرياء قبل أن يخلق كل ذلك وهذا كفلا، وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }**الأعراف33**. وقال تعالى: {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا}**النحل78**. وقال تعالى: {وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُون}**البقرة151**. وقال تعالى: {وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِه}**الأعراف180**. فصح أنه لا يحل أن يضاف إلىه تعالى شئ، ولا أن يخبر عنه بشئ، ولا أن يسمي بشئ إلا ما جاء به النص. ونقول: وإن لله تعالى مكرًا وكيدًا. وَقَالَ تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ} وَقَالَ تعالى: {وَأَكِيدُ كَيْدًا} وَكُلٌّ ذَلِكَ خَلْقٌ لَهُ تعالى. وَبِاَللَّهِ تعالى التَّوْفِيقُ.

المسألة الحادية والستون:

يرى المسلمون ربهم يوم القيامة

قال ابن حزم: وأن الله تعالى يراه المسلمون يوم القيامة بقوة غير هذه القوة, قال عز وجل: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} **القيامة 22-23**. عن جرير بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ونظر إلى القمر: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته. ولو كانت هذه القوة لكانت لا تقع إلا على الألوان تعالى الله عن ذلك. وأما الكفار فإن الله عز وجل قال: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} **المطففين15**.

***

وقال الإمام ابن حزم في الفصل: أن المؤمنين سوف يرون ربهم يوم القيامة بالحاسة السادسة. ونحن نقول أن النصوص التي بين أيدينا تفيد أننا سوف نري الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ولكن كيف؟ الله تعالى أعلى وأعلم. **وقال الإمام ابن أبي العز:** المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية. وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة. وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة..

وروي ابن مردويه بسنده إلى ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} **قال:** في وجه الله عز وجل. وعن الحسن قال: نظرت إلى ربها فنضرت بنوره. وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل. وقال عكرمة: تنظر إلى ربها نظرًا، ثم حكي عن ابن عباس مثله.

المسألة الثانية والستون:

الله كلم موسى

قال الإمام: وأن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ومن شاء من رسله قال تعالى: {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيما} النساء164. {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ} البقرة253.

***

ولقد قال بعض المعتزلة للإمام أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: وكلم الله موسى بنصب اسم الله ليكون موسى هو المتكلم لا الله. فقال له: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّه} الأعراف143. فبهت المعتزلي!

المسألة الثالثة والستون:

الله اتخذ إبراهيم ومحمد خليلين

قال الإمام: وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم خليلين. قال عز وجل: {وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا}النساء125. عن أبي الأحوص قال: سمعت عبد الله بن مسعود يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: لو كنت متخذ خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنه أخي وصاحبكم، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلًا.

***

الخلة هي كمال المحبة. وكان أول من ابتدع في الإسلام أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم الله موسى تكليمًا هو الجعد بن درهم قال: أن ذلك لا يجوز على الله. كان ذلك في أوائل المائة الثانية من الهجرة فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق، خطب الناس يوم الأضحى؛ فقال: أيها الناس ضحوا، تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا، ثم نزل فذبحه. وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين.

المسألة الر ابعة والستون:

محمد أسري بجسده وروحه

قال الإمام: وأن محمد صلى الله عليه وسلم أسري به ربه بجسده وروحه، وطاف في السماوات سماء سماء، ورأي أرواح الأنبياء عليهم السلام هناك, قال عز وجل: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى}**الإسراء1**. ولو كان ذلك رؤيا منام ما كذبه في ذلك أحد، كما لا نكذب نحن كافرًا في رؤيا يذكرها. وقد ذكرنا رؤيته عليه السلام للأنبياء عليهم السلام قبل فأغنى عن إعادته.

المسألة الخامسة والستون:

المعجزات لا يأتي بها إلا الأنبياء

قال الإمام: وأن المعجزات لا يأتي بها أحد إلا الأنبياء عليهم السلام. قال عز وجل: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّه}**الرعد38**. وقال تعالى: {مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه} **القصص32**. فصح أنه لو أمكن أن يأتي أحد ساحر أو غيره بما يحيل طبيعة أو يقلب نوعًا، لما سمي الله تعالى ما يأتي به الأنبياء عليهم السلام برهانًا لهم، ولا آية لهم، ولا أنكر على من سمي ذلك سحرًا، ولا يكون ذلك آية لهم عليهم السلام. ومن ادعي أن إحالة الطبيعة لا تكون آية إلا حتى يتحدي في النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب وادعي ما لا دليل عليه أصلًا، لا من عقل ولا من نص قرآن ولا سنة، وما كان هكذا فهو باطل، ويجب من هذا أن حنين الجذع وإطعام الطعام النفر الكثير من الطعام اليسير حتى شبعوا وهم مِئُونَ من صاع شعير. ونبعان الماء من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم إراواء ألف وأربعمائة من قدح صغير تضيق سعته عن شبر ليس شئ من ذلك آية له عليه السلام لإنه عليه السلام لم يتحد من ذلك أحدًا.

المسألة السادسة والستون:

السحر لا يحيل طبيعة

قال الإمام: والسحر حيل وتخييل لا يحيل طبيعة أصلًا. قال عز وجل: {يُخَيَّلُ إليه مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} **طه66.** فصح أنها تخييلات لا حقيقة لها، ولو أحال الساحر طبيعة لكان لا فرق بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كفر ممن أجازه.

المسألة السابعة والستون:

القدر حق

قال الإمام: وأن القدر حق، ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا قال الله عز وجل: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا} **الحديد22.**

***

قدر الله تعالى مقادير الخلق وسطر حركات وسكون المخلوقات كلها في اللوح المحفوظ وذلك قبل أن يخلق الخلق ويخرجه من اللاشيء إلى الوجود، مما أثار عند الإنسان الكثير من الحيرة والغموض في فهم هذه القصة الكونية العظيمة، قال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرا} **الفرقان2**، وقال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر} **القمر49.** وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء.

ومن شروط الإيمان بالله أن يؤمن المسلم بالقضاء والقدر أي أن كل أمور الخلق حلوها ومرها خيرها وشرها قد قدرها الله تعالى وقضي بها على العباد، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور حيث أتي رسول الله في صورة رجل أعرابي وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وفي سؤاله لرسول والله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان؟ فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

المسألة الثامنة والستون:

لا يموت أحد قبل أجله

قال الإمام: ولا يموت أحد قبل أجله، مقتولًا أو غير مقتول, قال الله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُؤَجَّلا}آل عمران145. وقال تعالى: {فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُون} الأعراف34. وقال تعالى: {قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عليهمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِم}آل عمران154.

***

وقد جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة زوج النبي: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية. قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حله، ولن يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب النار وعذاب القبر كان خيرًا وأفضل. **قال الإمام ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية:** فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضي أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب الحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب. والله سبحانه خلق الموت والحياة وخلق سبب الموت والحياة، وعند المعتزلة: المقتول مقطوع عليه أجله، ولم لم يقتل لعاش إلى أجله فكأن له أجلين وهذا باطل؛ لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلًا يعلم أنه لا يعيش إليه ألبتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب..وعلى هذا يخرج قوله صلى الله عليه وسلم: صلة الرحم تزيد في العمر. أي سبب طول العمر وقد قدر الله أن يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا.

المسألة التاسعة والستون:

لا يموت أحد حتى يستوفي رزقه

قال الإمام: حتى يستوفي رزقه ويعمل بما يسر له، السعيد من سعد في علم الله تعالى، والشقي من شقي في علمه تعالى. عن بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه

الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخها.

المسألة السبعون:

أعمال العباد مخلوقة

قال الإمام: وجميع أعمال العباد خيرها وشرها كل ذلك مخلوق خلقه الله عز وجل وهو تعالى خالق الإختيار والإرادة والمعرفة في نفوس عباده، قال عز وجل: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } **الصافات96**.

***

هناك رأيين في الفقه الإسلامي في مسألة خلق الله تعالى لأفعال عباده، الأولى تقول أن الإنسان هو صانع فعله والثاني تقول أن الله تعالى هو صانع أفعال العباد.. **فقد روي عن الإمام أبو حنيفة النعمان أنه قال لابن أبي ليلي مر بنا إلى موسى بن جعفر الصادق- يقال أنه كان أعلم أهل البيت بعلوم القرآن- فلما صارا إليه سلما عليه ثم قالا له:** أخبرنا عن أفاعيل العباد ممن هي؟ فقال لهما: إن كانت أفعال العباد من الله دون خلقه فالله أعلى وأعز وأعدل من أن يعذب عبده على فعل نفسه، وإن كانت من الله ومن خلقه فالله أعلى وأعز وأعدل من أن يعذب عبده على فعل قد شاركهم فيه وإن كانت من العباد فإن عذب فبعدل له وإن غفر فهو أهل التقوى وأهل المغفرة، ثم أنشأ يقول: لم تخل أفعالنا اللائي نذم بها؛؛ احدي ثلاث معاني حين نؤتيها. إما تفرد بارينا بصنعتها؛؛ فيسقط الذم عنا حين ننشيها. أو كان يشركنا فيها فيلحقه؛؛ ما سوف يلحقنا من لائم فيها. أو لم يكن لإلهي في جناتها؛؛ ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها.

وعلى هذا فإن كل فعل أو قول وفكر وعقيدة لدي الإنسان فهي تكون منه وهو محاسب عليها منذ دخوله إلى سن التكليف وهو سن الحلم بالنسبة للإنسان الذكر وسن الحيض بالنسبة للإنسان الأنثى ودليله قوله صلى الله عليه وسلم: رفع القلم عن ثلاث ومنهم الصبي حتى يبلغ، وهو يسري في حق الصبية أيضاً بالإجماع. ولكن الحق الذي لا مراء فيه أن الله تعالى هو خالق كل شيء بما في ذلك أفعال مخلوقاته.

يقول الإمام ابن حزم في الفصل: والبرهان على صحة قول من قال أن الله تعالى خلق أعمال العباد كلها نصوص من القرآن وبراهين ضرورية منتجة من بديهة العقل والحس لا يغيب عنها إلا جاهل وبالله تعالى التوفيق. فمن النصوص قول الله عز وجل: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّه} **فاطر3**، وهذا كاف لمن عقل واتقى. ومنها قول الله عز وجل: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِه} **لقمان11**، وهذا إيجاب لأن الله تعالى خلق كل ما في العالم، وإن كل من دونه لا يخلق شيئاً أصلاً، ولو كان هاهنا خالق لشيء من الأشياء غير الله

تعالى لكان جواب هؤلاء المقررين جواباً قاطعاً ولقالوا له نعم نريك أفعالنا خلقها من دونك ونعم هاهنا خالقون كثير وهم نحن لأفعالنا. وقوله عز وجل: {أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عليهمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}**الرعد16**، وهذا بيان واضح لا خفاء به لأن الخلق كله جواهر وأعراض، ولا شك في أنه لا يفعل الجواهر أحد دون الله تعالى وإنما يفعله الله عز وجل وحده فلم تبق إلا الأعراض فلو كان الله عز وجل خالقالبعض الأعراض ويكون الناس خالقين لبعضها لكانوا شركاء في الخلق ولكانوا قد خلقوا كخلقة خلق أعراضاً وخلقوا أعراضاً وهذا تكذيب لله تعالى ورد للقرآن مجرد فصح أنه لا يخلق شيئاً غير الله عز وجل وحده، والخلق هو الاختراع فالله مخترع أفعالنا كسائر الأعراض ولا فرق فإن نفوا خلق الله تعالى لجميع الأعراض لزمهم أن يقولوا أنها أفعال لغير فاعل أو أنها فعل لمن ظهرت منه من الأجرام الجمادية وغيرها فإن قالوا: هي أفعال لغير فاعل فهذا قول أهل الدهر نصاً ويكلمون حينئذ بما يكلم به أهل الدهر، وإن قالوا أنها أفعال الأجرام كانوا قد جعلوا الجمادات فاعلة مخترعة وهذا باطل محال وهو أيضاً غير قولهم فالطبيعة لا تفعل شيئاً مخترعة له وإنما الفاعل لما ظهر منها خالق الطبيعة المظهر منها ما ظهر فهو خالق الكل ولابد ولله الحمد. ومنها قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون} **الصافات96**، وهذا نص جلي على أنه تعالى خلق أعمالنا وقد فسر بعضهم قوله تعالى: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون أنه خلقنا وخلق العيدان والمعادن التي تعمل منها الأوثان.

قال أبو محمد: وهذا كلام سخيف دل على جهل قائله وعناده وانقطاعه لأنه لا يقول أحد في اللغة التي بها خوطبنا في القرآن وبها نتفاهم فيما بيننا أن الإنسان يعمل العود أو الحجر هذا ما لا يجوز في اللغة أصلاً ولا في المعقول وإنما يستعمل ذلك موصولاً فنقول عملت هذا العود صنماً وهذا الحجر وثناً فإنما بين تعالى خلقه الصنمية التي هي شكل الصنم ونص تعالى على ذلك بقوله تعالى: {قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُون, وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون} **الصافات95-96** فإنما عملنا النحت بنص الآية وبضرورة المشاهدة فهي التي علمنا وهي التي أخبر تعالى انه خلقها.

وقال الإمام ابن أبي العز: فعل العبد فعل له حقيقة. ولكنه مخلوق لله تعالى ومفعول لله تعالى، وليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق، وإلى هذا المعني أشار الشيخ رحمه الله بقوله: وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد. أثبت للعباد فعلًا وكسبًا، وأضاف الخلق لله تعالى. والكسب: هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعليها مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا} **البقرة286**.

المسألة الواحدة والسبعون:

لا حجة على الله

قال الإمام: لا حجة على الله تعالى، ولله الحجة القائمة على كل أحد, قال تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون} الأنبياء23. وقال تعالى: {قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين} الأنعام149.

المسألة الثانية والسبعون:

لا عذر لأحد

قال الإمام: ولا عذر لأحد بما قدره الله عز وجل من ذلك لا في الدنيا ولا في الآخرة، وكل أفعاله تعالى عدل وحكة. لإن الله تعالى واضع كل شيء موجود في موضعه، وهو الحاكم الذي لا حاكم عليه، ولا معقب لحكمه، قال تعالى: {فَعَّالٌ لِّمَا يريد}هود107.

المسألة الثالثة والسبعون:

الإيمان والإسلام شئ واحد

قال الإمام: الإيمان والإسلام شيء واحد. قال عز وجل: {فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ}الذاريات 62-63. وقال تعالى: {يَمُنُّونَ عليك أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا على إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عليكمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين} الحجرات17.

***

كان الإمام أبو حنيفة النعمان يذهب إلى نفس ما ذهب إلىه الإمام ابن حزم وكان يرى أن الإيمان والإسلام شئ واحد. **قال الإمام أبو حنيفة:** الإيمان هو الإقرار والتصديق، ويقول في الإسلام: هو التسليم والإنقياد لأوامر الله تعالى؛ فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام، ولا يوجد إسلام بلا إيمان، وهما كالظهر والبطن، والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها.

وهنا مثل الإمام المعقول بالمحسوس إيضاحاً للمعقول، وكان الإمام أشار بهذا إلى أن استعمال الشرع يغاير استعمال اللغة.

ونوقش هذا الرأي: بأنه لو كانا كالظهر للبطن ويكون بينهما تلازم في الصدق لم يصح إثبات أحدهما ونفي الآخر والتالي باطل: أما الملازمة فظاهرة وأما بطلان التالي فيدل عليه قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا} **الحجرات14.**

ورد عليه: بمنع بطلان التالي لأن الكلام في الإسلام المعتبر شرعاً المقابل للكفر ولاشك أن هذا الإسلام الشرعي لا ينفك عن الإيمان والمذكور في الآية الإسلام بمعني الاستسلام الظاهري خوفاً من السيف وليس هذا صرفاً للإسلام في الآية الكريمة عن معناه الشرعي المتعارف عليه والحقيقي إلى المعنى اللغوي المهجور استعماله شرعاً وإنما يلزم إذاً كان الرد عليه بقوله: ولكن قولوا. وهذا صريح في أنهم ليس لدعواهم الإيمان أي الدليل مبرر ويمكن لهم القول: أسلمنا. والآية أباحت لهم هذا القول لا لأن قولهم هذا يدل على أمر واقعي وأن قولهم محكياً عنه ومعبراً عنه في نفس الأمر بل أباحت لهم لأن دلالة الألفاظ ليست بقطعية فهذا قول لا مدلول له.

يقول عناية الله إبلاغ في تحفته الإمام الأعظم أبو حنيفة المتكلم تعليقاً على مذهب الإمام هذا: والقول بالتلازم بينهما كما ذهب إليه الإمام هو أرجح الأقوال إذ الإيمان عبارة عن التصديق والإسلام عبارة عن التسليم والتسليم الكامل يلازم التصديق إذ الانقياد والتسليم الظاهري مع التكذيب القلبي لا يسمي تسليماً كاملاً. ذكر صاحب المقاصد أنه إذا كان المراد بالإتحاد بين الإيمان والإسلام عدم انفكاك أحدهما عن الآخر صح التمسك بالإجماع.

فمن يأتي بكل ما هو معتبر في الإيمان لا يصح سلب اسم الإسلام عنه فهو مؤمن ومسلم كما أن المسلم الذي يأتي بجميع ما يعتبره في الإسلام مسلم ومؤمن وظهر كونهما كالظهر للبطن.

المسألة الرابعة والسبعون:

الإيمان ما هو؟

قال الإمام: كل ذلك عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وقال عز وجل: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانا}**التوبة124.**

***

في الفتنة الكبرى بين الأئمة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وأرضاهما خرجت فرقة من بين أظهر المسلمين تطعن في إيمان كل من لم يكن منهم من أهل الصلاة والقبلة، وتكفرهم وتستحل دمائهم وأموالهم بغير حقها؛ وهم فرقة الخوارج الذين خرجوا على الإمام على بن أبي طالب وكفروه هو وجمع غفير من أكابر الصحابة مثل معاوية بن أبي سفيان وعثمان بن عفان وغيرهم كثير ممن اجتمعت الأمة على إيمانهم وصلاحهم. هذه الفرقة كانت هي البذرة الشيطانية التي غارت في جسد الأمة الإسلامية، تفتت أوصاله وتمزق ترابطه، وأثمر عنها الكثير والكثير من الفرق التي تكفر إخوانهم في الدين بمزاعم ظنوا أنها الدين الحق والدين منهم براء، ولا يخفي على مطلع ما فعلته النسخة الحديثة من الخوارج وأقصد بذلك جماعات التكفير والهجرة التي استحلت دماء العباد وأموالهم بغير حقها بجرائم يندي لها الجبين، وتقشعر لها الأبدان.

فلماذا تحول تفكيرهم إلى ما ذهبوا إليه؟ وكيف؟ بحثنا عن إجابة هذا السؤال فوجدنا أن أهم الأسباب في ذلك هو اختلاف العقول في فهم معني الإيمان بالله وكيف يكون هذا الإيمان وبم يكون؟ وكيف يتحقق في العبد معني الإيمان أو الكفر. فمثلاً هؤلاء الخوارج قالوا: أن الإيمان بالله هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان (أي الشهادة) وعمل الأركان، وقالوا: بأن كل طاعة إيمان وأن كل معصية كفر، وأن مرتكب المعاصي كافر بالله، وأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار.

ومن بعدهم قالت فرقة المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء: أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن وليس كافر ولكن في منزلة بين منزلتين. وعلى هذا اختلف الناس في معني الإيمان وظهرت إشكالات جديدة لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في فهم الإيمان بالله وتحقيق معناه حتى خرج من يقول أن الإيمان بالله هو مجرد المعرفة بالله فمن عرف أن الله موجود فهو مؤمن وإن ارتكب كل معصية وكبيرة وحتى ولم يقر وينطق الشهادة وهؤلاء أصحاب الجهم بن صفوان زعيم الجهمية، وآخرون قالوا أن الإيمان هو مجرد الإقرار والنطق بالشهادة، فمن نطق الشهادة حتى وإن كان في قلبه كافراً بالله فهو مؤمن وهؤلاء هم أصحاب عبد الله بن كرام زعيم الكرامية. حتى أهل السنة أنفسهم اختلفوا في فهمهم لمعني الإيمان فذهب الإمام أبو حنيفة إمام أهل الرأي وأصحابه إلى أن الإيمان بالله هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل ليس ركناً فيه، وذهب الإمام الغزإلى صاحب الإحياء إلى أن الإيمان هو التصديق فقط بكل ما عرف كونه ضروري من دين محمد صلى الله عليه وسلم، وذهب الجماعة من فقهاء أهل السنة من أهل الحديث أصحاب مالك والشافعي وابن حنبل إلى أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان والعمل شرطاً في كمال الإيمان وتمامه وإن اختلفوا بعد ذلك في بعض تفاصيل الإيمان وهل هو يزيد وينقص أم لا..

يقول العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله: ولقد كان لابد أن يتكلم الفقهاء والمحدثون في هذه المعاني بطريقتهم، وهي الاعتماد على الكتاب والسنة دون الاعتماد على العقل المجرد، ولكنهم اختلفوا في ذلك على آراء، وإن لم تكن متباعدة فأبو حنيفة يرى أن الإيمان هو الاعتقاد الجازم والإذعان، ووجود أمارة حسية تدل على ذلك الاعتقاد وهذه الأمارة هي النطق بالشهادتين، ولا يعد العمل عند أبو حنيفة جزءاً من الإيمان، ولا يعد الإيمان إلا حقيقة مجردة إن وجدت كاملة فلا يقبل الزيادة والنقصان. وقال مالك إن الإيمان هو التصديق والإذعان، ولكنه يزيد لأن القرآن الكريم صرح بأن بعض الذين آمنوا قد ازدادوا إيماناً، وقد كان يقول إنه أيضاً ينقص، ولكنه وجد القرآن الكريم صرح بأن الإيمان يزيد، ولم يصرح بأن الإيمان بنقص فكف. وأما الإمام أحمد بن حنبل، والشافعي رضي الله عنهم أجمعين ومعهم سائر أهل الحديث يقررون أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.

المسألة الخامسة والسبعون:

من كتم الشهادة فهو كافر

قال الإمام: من اعتقد الإيمان بقلبه ولم ينطق به بلسانه دون تقية فهو كافر عند الله تعالى وعند المسلمين، ومن نطق به دون أن يعتقده بقلبه فهو كافر عند الله وعند المسلمين قال الله تعالى عن اليهود والنصاري: أنهم يعلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعلمون أبناءهم وقال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً}**النمل14**.

المسألة السادسة والسبعون:

الإستدلال ليس شرط الإيمان

قال الإمام: ومن اعتقد الإيمان بقلبه ونطق به بلسانه فقد وفق سواء استدل أو لم يستدل، فهو مؤمن عند الله تعالى وعند المسلمين، قال الله تعالى: {فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُم}**التوبة5**. ولم يشترط عز وجل في ذلك استدلالاً ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مذ بعثه الله عز وجل إلى أن قبضه يقاتل الناس حتى يقروا بالإسلام ويلتزموه، ولم يكلفهم قط استدلالاً ولا سألهم هل استدلوا أم لا. وعلى هذا جري جميع الإسلام إلى اليوم وبالله التوفيق.

المسألة السابعة والسبعون:

لا يكفر أحد بمعاصيه

قال الإمام: ومن ضيع الأعمال كلها فهو مؤمن عاص ناقص الإيمان لا يكفر. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال في حديث طويل: حتى إذا فرغ الله من قضائه بين العبادة وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا، ممن أراد الله عز وجل أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله.

***

سُئلَ شَيْخُ الإسْلام أبو العبَّاسِ تَقي الدين ابن تَيمية عن العبد المؤمن: هل يَكْفُر بالمعصية أم لا؟ فأَجَابَ: لا يكفر بمجرد الذنب, فإنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الزاني غير المحْصَن يُجْلَد ولا يقتل, والشارب يجلد, والقاذف يجلد, والسارق يقطع. ولو كانوا كفارًا لكانوا مرتدين, ووجب قتلهم, وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف.

وقال الإمام ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرًا ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج؛ إذ لو كفر كفرًا ينقل عن الملة لكان مرتدًا يقتل على كل حال.. ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين كما قالت المعتزلة؛ فإن قولهم باطل أيضًا.

المسألة الثامنة والسبعون:

اليقين لا يتفاضل

قال الإمام: اليقين لا يتفاضل لكن إن دخل فيه شئ من شك أو جحد بطل كله، برهان ذلك أن إليقين هو إثبات الشئ ولا يمكن أن يكون إثبات أكثر من إثبات، فإن لم يحقق الإثبات صار شكًا.

المسألة التاسعة والسبعون:

الكبائر والصغائر

قال الإمام: والمعاصي كبائر فواحش، وسيئات صغائر ولمم؛ واللمم مغفور جملة، فالكبائر الفواحش هي ما توعد الله تعالى عليه بالنار في القرآن أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فمن اجتنبها غفرت له جميع سيئاته الصغائر.

برهان ذلك: قول الله عز وجل: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} **النجم32**. واللم هو الهم بالشئ، وقد تقدم ذكرنا الأثر في أن من هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شئ، وقد تقدم ذكرنا الأثر من هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شئ. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به. وقال الله عز وجل: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} **النساء31**. وبالضرورة نعرف أنه لا يكون كبيرًا إلا بالإضافة إلى ما هو أصغر منه، لا يمكن غير هذا أصلًا، فإذا كان العقاب بالغًا أشد ما يتخوف فالموجب له هو كبير بلا شك، وما لا توعد فيه بالنار فلا يلحق في العظم ما توعد فيه بالنار، فهو الصغير بلاشك، إذ لا سبيل إلى قسم ثالث.

قال الإمام ابن أبي العز في شرح العقيدة: واختلف العلماء في الكبائر على أقوال: فقيل: سبعة، وقيل: سبعة عشر، وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه، وقيل: مايسد باب المعرفة بالله، وقيل: ذهاب الأموال والأبدان، وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها، وقيل: لا تعلم أصلًا، أو: إنها أخفيت كليلة القدر، وقيل: إنها من السبعين أقرب، وقيل: كل ما نهي الله عنه فهو كبيرة، وقيل: أنها ما يترتب عليها حد، أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب وهذا أمثل الأقوال.

المسألة الثمانون:

من لم يجتنب الكبائر حوسب على كل ما عمل

قال الإمام: ومن يجتنب الكبائر حوسب على كل ما عمل ووازن الله عز وجل بين أعماله من الحسنات وبين جميع معاصيه التي لم يتب منها، ولا أقيم عليه حدها، فمن رجحت حسناته فهو في الجنة، وكذلك من ساوت حسناته سيئاته قال الله عز وجل: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِين}**الأنبياء47**. وقال تعالى: {فأما مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَة} **القارعة 6-7**. ومن تساوت فهم أهل الأعراف. قال الله عز وجل: {الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

السَّيِّئَات}هود114. ولا خلاف في أن التوبة تسقط الذنوب. عن عبادة بن الصامت قال: أخذ علىنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخذ على النساء: أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا يَعْضَهَ بعضنا بعضًا، فمن وفي منكم فأجره على الله ومن أتي منكم حدًا فأقيم عليه فهو كفارة له، ومن ستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. ومن رجحت سيئاته بحسناته فهم الخارجون من النار بالشفاعة على قدر أعمالهم، قال عز وجل: {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَة} **القارعة 8-11**. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَال ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه} **الزلزلة 7-8**.

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل: ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوي الرسل يومئذ اللهم سلم سلم. وفي جهنم كلإلىب مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم يعني الموبق بعمله ومنهم المخردل حتى ينجي.

وعن أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة.

قال ابن حزم: وليس قول الله عز وجل: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} **النساء48**. وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عباده الذي ذكرناه آنفًا: إن شاء غفر له وإن شاء عذبه. بمعارض لما ذكرنا، لإنه ليس في هذين النصين إلا أنه تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء.

وهذا صحيح لا شك فيه: كما أن قوله تعالى: إن الله يغفر الذنوب جميعًا. وقوله تعالى في النصاري حاكيًا عن عيسى عليه السلام أنه قال: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ: هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} **المائدة 118-119**. ليس بمعارض لهذين النصين وليس في شئ من هذا أنه قد يغفر، ولا يعذب من رجحت سيئاته على حسناته، والمبين أحكام هؤلاء مما ذكرنا هو الحاكم على سائر النصوص المجملة, وكذلك تقضي هذه النصوص على كل نص فيه: من فعل كذا حرم الله عليه الجنة، ومن قال لا إله إلا الله مخلصًا حرم عليه النار, وعلى قوله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا} **النساء93**.

ومعنى كل هذا أن الله يحرم الجنة عليه حتى يقتص منه، ويحرم النار عليه أن يخلد فيها أبدا، وخالدا فيها مدة حتى تخرجه الشفاعة، إذ لا بد من جمع النصوص كلها. وبالله تعالى التوفيق.

المسألة الواحدة والثمانون:

الناس في الجنة على قدر فضلهم

قال الإمام: والناس في الجنة على قدر فضلهم عند الله تعالى فأفضل الناس أعلاهم في الجنة درجة، برهان ذلك قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} **الو اقعة 10-12.**

ولو جاز أن يكون الأفضل أنقص درجة لبطل الفضل ولم يكن له معني ولا رغب فيه راغب، وليس للفضل معني إلا أمر الله تعالى بتعظيم الأرفع في الدنيا وترفيع منزلته في الجنة.

المسألة الثانية والثمانون:

الأفضل فالأفضل

قال الإمام: وهم الأنبياء ثم أزواجهم ثم سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميعهم في الجنة. وقد ذكرنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لو كان لأحدنا مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه. وقد ذكرنا أن أفضل الناس أعلاهم درجة في الجنة، ولا منزلة أعلى من درجة الأنبياء عليهم السلام، فمن كان معهم في درجتهم فهو أفضل ممن دونهم، وليس ذلك إلا لنسائهم فقط، وقال تعالى: {لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} **الحديد10**. وقال عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ لاَ يَحْزُنُهُمْ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ} **الأنبياء 101-103**. فجاء النص أن من صحب النبي صلى الله عليه وسلم فقد وعده الله تعالى الحسني. وقد نص الله تعالى: إن الله لا يخلف الميعاد. وصح بالنص كل من سبقت له من الله تعالى الحسني إنه مبعد عن النار لا يسمع حسيسها وهو فيما اشتهي خالد لا يحزنه الفزع الأكبر. وهذا نص ما قلنا وليس المنافقون ولا سائر الكفار، من أصحابه عليه السلام، ومن المضافين إلىه عليه السلام.

***

ابن حزم هو الفقيه الوحيد فيما أعلم الذي قدم أمهات المؤمنين على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال بما أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلى الناس درجة في الجنة فمن معه من أزواجه في مكانه هن أعلى ممن هم دونهن. وقد عارض البعض في هذا بأن قال إذًا فإبراهيم ابن رسول الله وهو الطفل الرضيع أفضل مكانة من عمر وأبي بكر وعلى وعثمان وغيرهم من الصحابة وهو الذي لا عمل له لا حسنة ولا سيئة.

وقد رد الإمام على هذا بأن قال أن لأمهات المؤمنين فضل الصحبة كسائر الصحابة ولهن في ذلك الأفضلية في الصحبة إذ أنهن أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بقية أصحابه سلام الله عليهم أجمعين. ولهن كذلك فضل الأمومة فهن أمهات المؤمنين. وقد نالوا مانالوا من فضل فبعملهن واجتهادهن أما إبراهيم ابن رسول الله فهو حصل على ما حصل من فضل فهو هبة من الله وتكريمًا لرسوله صلى الله عليه وسلم لا بعمل ولا باجتهاد.

قال الإمام ابن حزم في الفصل: أوجب الله لهن حكم الأمومة على كل مسلم؛ هذا سوى حق اعظامهن بالصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلهن رضي الله تعالى عنهن مع ذلك حق الصحبة له كسائر الصحابة إلا إن لهن من الإختصاص في الصحبة ووكيد الملازمة له عليه السلام ولطيف المنزلة عنده عليه السلام والقرب منه والحظوة لديه ما ليس لأحد من الصحابة رضي الله عنهم؛ فهن أعلى درجة في الصحبة من جميع الصحابة ثم فضلن سائر الصحابة بحق زائد وهو حق الأمومية الواجب لهن كلهن بنص القرآن فوجدنا الحق الذي به استحق الصحابة الفضل قد شاركنهم فيه وفضلنهم فيه أيضاً ثم فضلنهم بحق زائد وهو حق الأمومية، ثم وجدناهن لا عمل من الصلاة والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة إلا كان فيهن فقد كن يجهدن أنفسهن في ضيق عيشهن على الكد في العمل بالصدقة والعتق ويشهدن الجهاد معه عليه السلام وفي هذا كفاية بينة في أنهن أفضل من كل صاحب، ثم لا شك عند كل مسلم وبشهادة نص القران إذ خيرهن الله عز وجل بين الدنيا وبين الدار الآخرة والله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة فهن أزواجه في الآخرة بيقين فاذ هن كذلك فهن معه صلى الله عليه وسلم بلا شك في درجة واحدة في الجنة في قصوره وعلى سرره إذ لا يمكن البتة ان يحال بينه وبينهن في الجنة ولا أن ينحط عليه السلام إلى درجة يسفل فيها عن أحد من الصحابة هذا ما لا يظنه مسلم فإذ لا شك في حصولهن على هذه المنزلة فبالنص والإجماع علمنا أنهن لم يؤتين ذلك اختصاصاً مجرداً دون عمل بل باستحقاقهن لذلك باختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة اذ أمره الله عز وجل ان يخيرهن فاخترن الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الناس ثم قد حصل لهن افضل الأعمال في جميع الوجوه.

المسألة الثالثة والثمانون:

الخلافة في قريش

قال الإمام: ولا تجوز الخلافة إلا في قريش وهم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، الذين يرجعون بأنساب آبائهم إليه. عن عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان.

قال ابن حزم: هذه اللفظة لفظة الخبر، فإن كان معناه الأمر فحرام أن يكون الأمر في غيرهم أبدًا، وإن كان معناه معني الخبر كلفظه، فلا شك في أن من لم يكن من قريش فلا أمر له وإن ادعاه، فعلى كل حال فهذا خبر يوجب منع الأمر عمن سواهم.

***

عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: كنا نجالس عمرو بن العاص نذاكره الفقه فقال رجل من بكر: لتنتهين قريش وليجعلن الله هذا الأمر في جمهور من جماهير العرب. فقال عمرو بن العاص: كذبت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الخلافة في قريش إلى قيام الساعة. قال الإمام الألباني عن هذا الحديث في ظلال الجنة في تخريج السنة: إسناده جيد. لا يجوز في الشرع أن يقال فلان خليفة الله . لما فيه من ايهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز وقد بين **شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال في الفتاوى:** وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي أن الخليفة هو الخليفة عن الله مثل نائب الله. والله تعالى لا يجوز له خليفة ولهذا قالوا لأبي بكر: يا خليفة الله. فقال: لست بخليفة الله ولكن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي ذلك. بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره قال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا. وذلك لأن الله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين ليس له شريك ولا ظهير ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ويكون لحاجة المستخلف وسمي خليفة لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى وهو منزه عنها فإنه حي قيوم شهيد لا يموت ولايغيب، ولا يجوز أن يكون أحد خلفا منه ولا يقوم مقامه إنه لا سمي له ولا كفء فمن جعل له خليفة فهو مشرك به.

المسألة الر ابعة والثمانون:

شروط الخليفة

قال الإمام: ولا يجوز الأمر لغير بالغ، ولا لمجنون ولا امرأة. ولا يجوز أن يكون في الدنيا إلا إمام واحد فقط، ومن بات ليلة وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا يجوز التردد بعد موت الإمام في اختيار الإمام أكثر من ثلاث. برهان ذلك: عن على بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يبلغ، وعن المبتلى حتى يعقل.
قال ابن حزم: الإمام إنما جعل ليقيم الناس الصلاة ويأخذ صدقاتهم ويقيم حدودهم.

المسألة الخامسة والثمانون:

التوبة

قال الإمام: والتوبة من الكفر والزنا وفعل قوم لوط والخمر وأكل الأشياء المحرمة كالخنزير والدم والميتة وغير ذلك: تكون بالندم والإقلاع والعزيمة على أن لا عودة أبدا واستغفار الله تعالى. هذا إجماع لا خلاف فيه. والتوبة من ظلم الناس في أعراضهم وأبشارهم وأموالهم لا تكون إلا برد أموالهم إلهم، ورد كل ما تولد منها معها أو مثل ذلك إن فات، فإن جهلوا ففي المساكين ووجوه البر مع الندم والإقلاع والإستغفار، وتحللهم من أعراضهم وأبشارهم، فإن لم يكن ذلك فالأمر إلى الله تعالى، ولابد للمظلوم من الإنتصاف يوم القيامة، يوم يقتص للشاة الجماء من القرناء. والتوبة من القتل أعظم من هذا كله، ولا تكون إلا بالقصاص فإن لم يمكن فليكثر من فعل الخير ليرجح ميزان الحسنات. عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عن الله تعالى أنه قال: يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال عليه السلام: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته إن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار. وقال صلى الله عليه وسلم: لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء. قال ابن حزم: هذا كله خبر مفسر مخصص لا يجوز نسخه ولا تخصيصه بعموم خبر آخر.

***

قال الإمام ابن أبي العز: فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عرفت بالإستقراء من الكتاب والسنة: **السبب الأول:** التوبة. قال تعالى: {إِلَّا مَن تَابَ} **مريم60**. وغيرها، والتوبة النصوح هي الخالصة، لا يختص بها ذنب دون ذنب.

السبب الثاني: الاستغفار. قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} **الأنفال33**.. فالتوبة تتضمن الإستغفار، والإستغفار يتضمن التوبة, وكل واحد منهما يدخل في مسمي الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدي اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضي، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات الأعمال.

السبب الثالث: الحسنات، فإن الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها.. وقال تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} **هود114**.

السبب الرابع: المصائب الدنيوية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه.

السبب الخامس: عذاب القبر.

السبب السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

السبب السابع: ما يهدي إليه بعد الموت، من ثواب وصدقة أو قراءة أو حج ونحو ذلك. **السبب الثامن:** أهوال يوم القيامة وشدائده.

السبب التاسع: ما ثبت في الصحيحين: أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإن هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة. **السبب العاشر:** شفاعة الشافعين. السبب الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة، كما قال تعالى: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} **النساء48**.

المسألة السادسة والثمانون:

المسيح الدجال

قال الإمام: وأن الدجال وهو كافر أعور ممخرق ذو حيل. عن قتادة قال سمعت أنس بن مالك يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كفر. عن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحد النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر مما سألته عنه، قال: وما سؤالك عنه؟ قال: قلت إنهم يقولون معه جبال من خبز ولحم ونهر من ماء؟! قال: هو أهون على الله من ذلك. عن أبي الدهماء قال: سمعت عمران بن حصين يحدث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات، قال هكذا، قال: نعم.

***

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تقوم الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال وعيسى بن مريم، والدخان، وثلاث خسوف: خسف بالمغرب؛ وخسف بالمشرق؛ وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك تخرج نار من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر.

المسألة السابعة والثمانون:

النبوة هي الوحي

قال الإمام: والنبوة هي الوحي من الله تعالى بأن يعلم الموحي إليه بأمر ما يعلمه لم يكن يعلمه من قبل. والرسالة هي النبوة وزيادة، وهي بعثته إلى خلق ما بأمر ما هذا ما لا خلاف فيه. والخضر عليه السلام نبي قد مات، ومحمد صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده، قال الله عز وجل حاكيًا عن الخضر: وما فعلته عن أمري. فصحت نبوته وقال تعالى: {وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}**الأحزاب40.**

المسألة الثامنة والثمانون:

إبليس مخلد

قال الإمام: وأن إبليس باق حي قد خاطب الله عز وجل معترفًا بذنبه مصرًا عليه موقنًا بأن الله عز وجل خلقه من نار، وأنه تعالى خلق آدم من تراب وأنه تعالى أمره بالسجود لآدم فامتنع واستخف بآدم فكفر. قال الله تعالى حاكيًا عنه أنه قال: {أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}**الأعراف12**. وأنه قال: {قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} **الأعراف14**.

***

وهناك نكتة لطيفة في هذا المقال وهو أن العلماء قد قالوا أن عمر الإنسان على الأرض يناهز المائة ألف عام وقال آخرون بل هو مليون عام, وذلك لعثورهم على حفريات إنسانية تدل على هذا فقلت: لو ثبت أن عمر الإنسان على الأرض قد ناهز المليون عام فإن إبليس قد فاق عمره المليون عام إذ أنه موجود من قبل خلق آدم حتى لحظتنا هذه وسيظل إلى يوم البعث والحساب؛ وعليه فإن إبليس هو أسن مخلوق أرضي بلا منازع.

المسألة التاسعة والثمانون:

أصل الإسلام القرآن وصحيح السنة

قال الإمام: دين الإسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ إلا من القرآن أو مما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الإجماع، وأما بنقل جماعة عنه عليه الصلاة والسلام وهو نقل الكافة. وأما برواية الثقات واحدًا عن واحد حتى يبلغ إليه عليه الصلاة والسلام، ولا مزيد. قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ, عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى} **النجم 3-4**. وَقَالَ تعالى: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إليكمْ مِنْ رَبِّكُمْ, وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} **الأعراف 3**. وَقَالَ تعالى: {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} **المائدة 3**.

فإن تعارض فيما يرى المرء آيتان أو حديثان صحيحان أو حديث صحيح وآية فالواجب استعمالها جميعًا، لإن طاعتهما سواء في الوجوب، فلا يحل ترك أحدهما للآخر ما دمنا نقدر لي ذلك، وليس هذا إلا بأن يستثني الأقل معاني من الأكثر، فإن لم نقدر على ذلك وجب الأخذ بالزائد حكمًا لإنه متيقن وجوبه، ولا يحل ترك اليقين بالظنون، ولا إشكال في الدين قد بين الله تعالى دينه. قال تعالى: {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} **المائدة 3**. وَقَالَ تعالى: {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} **النحل 89**.

***

وفي هذا رد على كل من فرق بين القرآن والسنة وقالوا نأخذ بالقرآن وندع السنة وهؤلاء هم من يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

المسألة التسعون:

الموقوف والمرسل لا تقوم بهما حجة

قال أبو محمد: الموقوف والمرسل لا تقوم بهما حجة، وكذلك ما لم يروه إلا من لا يوثق بدينه وبحفظه، ولا يحل ترك ما جاء في القرآن أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان هو راوي الحديث أو لم يكن، والمرسل هو ما كان بين أحد رواته أو بين الراوي وبين النبي صلى الله عليه وسلم من لا يُعرف، والموقوف هو ما لم يَبْلُغْ به إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

برهان بطلان الموقوف: قول الله عز وجل: {لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} **النساء 165**. فَلاَ حُجَّةَ فِي أَحَدٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم, وَلاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يُضِيفَ ذَلِكَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لأنه ظَنٌّ, وَقَدْ قَالَ تعالى: {وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا} **يونس 36**. وَقَالَ تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَك بِهِ عِلْمٌ} **الإسراء 36**.

وأما المرسل ومن في روايته من لا يوثق بدينه وحفظه: فلقول الله تعالى: {فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إليهمْ}**التوبة 122**. فأوجب عز وجل قبول نذارة النافر للتفقه في الدين، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} **الحجرات 6**. وليس في العالم إلا عدل أو فاسق، فحرم تعالى علىنا خبر الفاسق فلم يبق إلا العدل، وصح أنه هو المأمور بقبول نذارته. وأما المجهول فلسنا على ثقة من أنه على الصفة التي أمر الله تعالى معها بقبول نذارته، وهي التفقه في الدين، فلا يحل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا فقهه في الدين وحفظه لما ضبط عن ذلك وبراءته من الفسق وبالله تعالى التوفيق.

المسألة الواحدة والتسعون:

النسخ

قال الإمام: والقرآن ينسخ القرآن، والسنة تنسخ السنة والقرآن، قال عز وجل: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} **البقرة 106**. قَالَ تعالى: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إليهِمْ} **النحل 44**. وَقَالَ تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ, عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى} **النجم 3-4**. وَأَمَرَهُ تعالى أَنْ يَقُولَ: {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَي} **الأنعام 50**. وَقَالَ تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ علىنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} **الحاقة 44-47**. وصح أن كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن الله تعالى قاله، والنسخ بعض من أبعاض البيان وكل ذلك من عند الله تعالى. ولا يحل لأحد أن يقول في آية أو في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت هذا منسوخ. وهذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تأويلًا غير مقتض ظاهر لفظه، ولا أن هذا الحكم غير واجب علىنا من حين وروده إلا بنص آخر وارد بأن هذا النص كما ذكر، أو بإجماع متيقن بأنه كما ذكر أو بضرورة حس موجبة أنه كما ذكر وإلا فهو كاذب. بُرْهَانُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} **النساء 64**. وَقَالَ تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} **إبراهيم 4**. وَقَالَ تعالى: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} **الشعراء 195**. وَقَالَ تعالى: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ} **البقرة 75**. وَقَالَ تعالى: {فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ} **النور 63**. فَقَوْلُهُ تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ} **النساء 64**. موجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر به، وقوله تعالى: أطيعوا الله. موجب طاعة القرآن، ومن ادعي في آية أو خبر نسخًا فقد أسقط وجوب طاعتهما، فهو مخالف لأمر الله في ذلك. قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} **إبراهيم 4**. موجب أخذ كل نص في القرآن والأخبار على ظاهره ومقتضاه، ومن حمله على غير مقتضاه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه، وقال عليه عز وجل الباطل ووخلاف قوله عز وجل، ومن ادعي أن المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد أسقط بيان النص وأسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة. وهذا قول على الله تعالى بالباطل، وليس بعض ما يقتضيه النص بأولي بالإقتصار عليه من سائر ما يقتضيه قوله تعالى: {فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} **النور 63**. موجب للوعيد على من قال: لا تجب على موافقة أمره، وموجب أن جميع النصوص على الوجوب، ومن ادعي تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب طاعة الله ووجوب ما أوجب عز وجل من طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في تلك المدة. وهذا خلاف لأمر الله عز وجل, فإذا شهد لدعوى من ادعي بعض ما ذكرنا قرآن أو سنة ثابتة، إما بإجماع أو

نقل صحيح فقد صح قوله ووجب طاعة الله تعالى في ذلك، وكذلك من شهدت له ضرورة الحس؛ لإنها فعل الله تعالى في النفوس وإلا فهي أقوال مؤدية إلى إبطال الإسلام وإبطال جميع العلوم وإبطال جميع اللغات كلها وكفي بهذا فسادًا وبالله تعالى التوفيق.

المسألة الثانية والتسعون:

الإجماع

قال ابن حزم: والإجماع هو ما تيقن أن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوه وقالوا به ولم يختلف منهم أحد، كتيقننا أنهم كلهم رضي الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوها وسجودها، أو علموا أنه صلاها مع الناس كذلك وأنهم كلهم صاموا معه أو علموا أنه صام مع الناس رمضان في الحضر. وكذلك سائر الشرائع التي تيقنت مثل هذا إليقين.

والتي من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين وهذا ما لا يختلف أحد في أنه إجماع. وهم كانوا حينئذ جميع المؤمنين لا مؤمن في الأرض غيرهم, ومن ادعي أن غير هذا هو إجماع كلف البرهان على ما يدعي ولا سبيل إليه. وما صح فيه خلاف من واحد منهم أو لم يتيقن أن كل واحد منهم، رضي الله عنهم، عرفه ودان به فليس إجماعًا، لإن من ادعي الإجماع ههنا فقد كذب وقفا ما لا علم له به، والله تعالى يقول: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} **الإسراء 36**. ولو جاز أن يتيقن إجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لا يقطع فيه بإجماع الصحابة ولو جاز أن يتيقن إجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لا يقطع فيه بإجماع الصحابة، رضي الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة وليس كان يكون إجماعًا. أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل بإسناده من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله. فصح من هذا أنه لا يجوز ألبتة أن يجمع أهل عصر ولو طرفة عين على خطأ، ولا بد من قائل بالحق فيهم وأما أنه ليس إجماعًا فلإن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ليس جميع المؤمنين وإنما هم بعض المؤمنين والإجماع إنما هو إجماع جميع المؤمنين لا إجماع بعضهم.

***

قال الإمام العلامة أحمد شاكر رحمه الله تعالى معلقاً على كلام الإمام ابن حزم:

هذا الذي ذهب إليه المؤلف هو الحق في معنى الإجماع والاحتجاج به، وهو بعينه المعلوم من الدين بالضرورة. وأما الإجماع الذي يدعيه الأصوليون فلا يتصور وقوعه ولا يكون أبداً، وما هو إلا خيال. وكثير

ما ترى الفقهاء إذا حزبهم الأمر وأعوزتهم الحجة ادعوا الإجماع ونبذوا مخالفه بالكفر، وحاش لله. إنما الإجماع الذي يكفر مخالفه هو المتواتر المعلوم من الدين بالضرورة.

المسألة الثالثة والتسعون:

الواجب عند الخلاف

قال الإمام: والواجب إذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما أن يرجع إلى القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إلى شيء غيرهما. ولا يجوز الرجوع إلى عمل أهل المدينة ولا غيرهم. برهان ذلك: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَاليوم الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا}**النساء59**. فصح أنه لا يحل الرد عند التنازع إلى شيء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفي هذا تحريم الرجوع إلى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لإن من رجع إلى قول إنسان دونه عليه االسلام فقد خالف أمر الله تعالى بالرد إلىه وإلى رسوله، لا سيما مع تعلىقه ذلك بقوله: إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ولم يأمر الله تعالى بالرجوع إلى قول بعض المؤمنين دون جميعهم. وقد كان الخلفاء رضي الله عنهم كأبي بكر وعمر وعثمان بالمدينة وعمالهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمال عمر بالبصرة والكوفة ومصر والشام. ومن الباطل المتيقن الممتنع الذي لا يمكن أن يكونوا رضي الله عنهم طووا علم الواجب والحلال والحرام عن سائر الأمصار واختصوا به أهل المدينة، فهذه صفة سوء قد أعاذهم الله تعالى منها، وقد عمل ملوك بني أمية بإسقاط بعض التكبير من الصلاة وبتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الأرض، فصح أنه لا حجة في عمل أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المسألة الرابعة والتسعون:

القياس

قال الإمام: لا يحل القول بالقياس في الدين ولا بالرأي لإن أمر الله تعالى عند التنازع بالرد إلى كتابه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم قد صح، فمن رد إلى قياس وإلى تعلىل يدعيه أو إلى رأي فقد خالف أمر الله تعالى المعلق بالإيمان ورد إلى غير من أمر الله تعالى بالرد إلىه وفي هذا ما فيه. قال: وَقَوْلُ اللَّهِ تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} . وقوله تعالى: {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} . وقوله تعالى {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إليهمْ} قوله تعالى: {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} إبطال للقياس وللرأي لإنه لا يختلف أهل القياس والرأي أنه لا يجوز

استعمالهما ما دام يوجد نص، وقد شهد الله تعالى بأن النص لم يفرط فيه شيئًا، وأن رسوله عليه الصلاة والسلام قد بين للناس كل ما نزل إلهم وأن الدين قد كمل فصح أن النص قد استوفي جميع الدين، فإذا كان كذلك فلا حاجة بأحد إلى قياس ولا إلى رأيه ولا إلى رأي غيره. ونسأل من قال بالقياس: هل كل قياس قاسه قائس حق، أم منه حق ومنه باطل؟ فإن قال كل قياس حق أحال، لإن المقاييس تتعارض ويبطل بعضها بعضًا، ومن المحال أن يكون الشيء وضده من التحريم والتحليل حقًا معًا، وليس هذا مكان نسخ، ولا تخصيص، كالأخبار المتعارضة التي ينسخ بعضها بعضًا، ومن المحال أن يكون الشيء وضده من التحريم والتحليل حقًا معًا، وليس هذا مكان نسخ، ولا تخصيص، كا الأخبار المتعارضة التي ينسخ بعضها بعضًا، ويخصص بعضها ولا تخصيص، كالأخبار المتعارضة التي ينسخ بعضها بعضًا، ويخصص بعضها بعضا. وإن قال منها حق ومنها باطل، قيل له فعرفنا بماذا تعرف القياس الصحيح من الفاسد، ولا سبيل لهم إلى وجود ذلك أبدًا، وإذا لم يوجد دليل على تصحيح الصحيح من القياس من الباطل منه، فقد بطل كله وصار دعوي بلا برهان..

***

ولن تجد أحدًا قد حارب القياس كما حاربه ابن حزم وله في ذلك صولات وجولات في نقض القياس من أشهرها مناظراته مع الباجي المالكي المصري الذي توجه إليه مخصوصًا من مصر إلى الأندلس بناء على طلب الكثير من الناس. **وقد عرف الإمام الشوكاني القياس في كتابه إرْشادُ الفحُول إلى تحْقيق الحَقّ مِن عِلم الأصُول:** هو في اللغة تقدير شيء على مثال شيء آخر وتسويته به ولذلك سمي المكيال مقياساً وما يقدر به النعال مقياساً ويقال فلان لا يقاس بفلان أي لا يساويه وقيل هو مصدر قست الشيء إذا اعتبرته أقيسه قيساً وقياساً ومنه قيس الرأي وسمي امرؤ القيس لاعتبار الأمور برأيه. وفي الاصطلاح حمل معلوم على علوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من حكم أو صفة كذا. **وقال:** ذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والفقهاء والمتكلمين إلى أنه أصل من أصول الشريعة يستدل به على الأحكام التي يرد بها السمع.

ومسألة القياس هذه مسألة عظيمة ليس ههنا محل تفنيدها، وبيان شرعية القياس من عدم شرعيته له محل آخر بإذن الله تعالى.

المسألة الخامسة والتسعون:

أفعال النبي ليست فرضًا

قال الإمام: وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم ليست فرضًا إلا ما كان منها بيانًا لأمر فهو حينئذ أمر، لكن الإتساء به عليه السلام فهو حسن.

وبرهان ذلك: هذا الخبر الذي ذكرنا آنفًا من أنه لا يلزمنا شيئ إلا ما أمرنا به أو نهانا عنه، وأ ما سكت عنه فعفو ساقط عنا، وقال عز وجل: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} **الأحزاب21.**

المسألة السادسة والتسعون:

لا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا

قال الإمام: ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم، قال عز وجل: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}. عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، أفيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة. فإذا صح أن الأنبياء عليهم السلام لم يبعث أحد منهم إلا إلى قومه خاصة فقد صح أن شرائعهم لم تلزم إلا من بعثوا إليه فقط، وإذا لم يبعثوا إلينا فلم يخاطبونا قط بشئ، ولا أمرونا، ولا نهونا ولو أمرونا ونهونا وخاطبونا لما كان لنبينا صلى الله عليه وسلم فضيلة عليهم في هذا الباب. ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وأبطل هذه الفضيلة التي خصه الله تعالى بها، فإذا قد صح أنهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشئ، فقد صح يقينًا أن شرائعهم لا تلزمنا أصلًا، وبالله تعالى التوفيق.

المسألة السابعة والتسعون:

لا يحل التقليد

قال الإمام: ولا يحل لأحد أن يقلد أحدًا لا حيًا ولا ميتًا، وعلى كل أحد من الإجتهاد حسب طاقته، فمن سأل عن دينه فإنما يريد معرفة ما ألزمه الله عز وجل في هذا الدين، ففرض عليه إن كان أجهل البرية أن يسأل، عن أعلم أعل موضعه بالدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن دل عليه سأله، فإذا أفتاه قال له هكذا قال الله عز وجل ورسوله فإن قال له نعم أخذ بذلك وعمل به أبدًا، وإن قال له

هذا رأيي، أو هذا قياس، أو هذا قول فلان، وذكر له صاحبًا أو تابعًا أو فقيهًا قديمًا أو حديثًا، أو سكت أو انتهره أو قال له لا أدري، فلا يحل له أن يأخذ بقوله، ولكنه يسأل غيره.

برهان ذلك: قول الله عز وجل: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} فلم يأمرنا عز وجل قط بطاعة بعض أولي الأمر، فمن قلد عالمًا أو جماعة علماء فلا يطع الله تعالى، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أولي الأمر، وإذا لم يرد إلى من ذكرنا فقد خالف أمر الله عز وجل ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض أولي الأمر دون بعض.

***

والتقليد مذموم فاعله عند كل صاحب مذهب وطريق سوي. فكل علماء الأمة من أولهم لآخرهم رفضوه وأنكروا على فاعله، وهو عندهم كلهم مذموم، فتجد أبو حنيفة يقول: لا تأخذ برأيي إلا إذا علمت دليلي، ومالك يقول: كل بشري يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذه السارية أو القبر؛ يريد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهكذا كان حال الأئمة العظام من أئمة أمة محمد صلوات ربي وسلامه عليه، الذين هم أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، والليث بن سعد والعز بن عبد السلام وغيرهم، وابن تيمية وابن القيم وابن حزم رضي الله عنهم وأرضاهم، تماماً كما تعلموا من أولي الأمر الأوائل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذين هم الطلاب الأوائل في المدرسة المحمدية الخالدة. ولكن البعض من التابعين لهم أغلقوا على ما تعلموا منهم عقولهم، وأوصدوا قلوبهم، فما عادوا يفهمون، ولا يسمعون ولا يبصرون ولا يريدون إلا ما استقر هؤلاء عليهم وانتهوا من بحثه إلا من رحم ربك.

المسألة الثامنة والتسعون:

لا حكم للخطأ ولا النسيان

قال الإمام: ولا حكم للخطأ ولا النسيان إلا حيث جاء في القرآن أو السنة لهما حكم. قال الله تعالى: {وَلَيْسَ عليكمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} **الأحزاب 5.** وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} **البقرة 286.**

***

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

المسألة التاسعة والتسعون:

الفرض بالقدرة عليه

قال الإمام: وكل فرض كلفه الله تعالى الإنسان، فإن قدر عليه لزمه، وإن عجز عن جميعه سقط عنه، وإن قوي على بعضه وعجز عن بعضه سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه، سواء أقله أو أكثره.

برهان ذلك: قول الله عز وجل: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إذا أمرتكم بأمر أتوا منه ما استطعتم.

***

قال الإمام ابن أبي العز: والذي قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله، لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لابد أن تكون مع الفعل، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

المسألة المائة:

الأوقات حدود

قال الإمام: ولا يجوز أن يعمل أحد شيئًا من الدين مؤقتًا بوقت قبل وقته؛ فإن كان الأول من وقته والآخر من وقته لم يجز أن يعمل قبل وقته، ولا بعد وقته لقول الله تعالى: {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه} وَقَالَ تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا}. والأوقات حدود، فمن تعدي بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له فقد تعدي حدود الله. عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد.

قال ابن حزم: ومن أمره الله تعالى أن يعمل عملًا في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وأما بعد الوقت فقد عمل عملًا غير مقبول، وهو غير العمل الذي أمر به، فإن جاء نص بأنه يجزئ في وقت آخر فهو وقته أيضًا حينئذ، وإنما الذي لا يكون وقتًا للعمل فهو ما لا نص فيه, وبالله تعالى التوفيق.

المسألة المائة وواحد:

المجتهد والمخطيء

قال الإمام: والمجتهد المخطئ أفضل عند الله تعالى من المقلد المصيب. هذا في أهل الإسلام خاصة، وأما غير أهل الإسلام فلا عذر للمجتهد المستدل، ولا المقلد وكلاهما هالك.

برهان ذلك: ما ذكرناه آنفًا بإسناده من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وذم الله التقليد جملة فالمقلد عاص والمجتهد مأجور وليس من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم مقلدًا لأنه فعل ما أمره الله تعالى به، وإنما المقلد من اتبع من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنه فعل ما لم يأمره الله تعالى به وأما غير أهل الإسلام فإن الله تعالى يقول: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ} **عمران 85.**

المسألة المائة و اثنتين:

الحق واحد

قال الإمام: والحق من الأقوال في واحد منها وسائرها خطأ. قال الله تعالى: {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ} **يونس 32.** وَقَالَ تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}**النساء 82.**

وَذَمَّ اللَّهُ الإِخْتِلاَفَ فَقَال:{وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} **آل عمران 105.** وَقَالَ: {وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا} **الأنفال 46.** وَقَالَ: {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} **النحل 89 .**

فصح أن الحق في الأقوال ما حكم الله تعالى به فيه، وهو واحد لا يختلف، وأن الخطأ ما لم يكن من عند الله عز وجل. ومن ادعى أن الأقوال كلها حق، وأن كل مجتهد مصيب، فقد قال قولًا لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا معقول، وما كان هكذا فهو باطل، ويبطله أيضًا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر.

فنص عليه الصلاة والسلام أن المجتهد قد يخطئ. ومن قال: إن الناس لم يكلفوا إلا اجتهادهم فقد أخطأ، بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله به؛ قال الله عز وجل: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إليكمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} **الأعراف 3.** فافترض عز وجل اتباع ما أنزل إلـنا وأن لا نتبع غيره وأن لا نتعدي حدوده، وإنما أجر المجتهد المخطئ أجرًا واحدًا على نيته في طلب الحق فقط، ولم يأثم إذا حُرم الإصابة، فلو أصاب الحق أجر أجرًا كما قال عليه السلام: أنه إذا أصاب أجر أجرًا ثانيًا. عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر. ولا

يحل الحكم بالظن أصلًا لقول الله تعالى: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا} **النجم 82.**

ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث.

وبالله تعالى التوفيق.

تم بحمد الله وتوفيقه في الإسكندرية في يوم الأحد 2011/9/4، السادس من شوال من العام ألف وأربعمائة و إثنان وثلاثون هجرية.

فهرس كتاب التوحيد